رسالة في قواعد التلاوة

تأليف

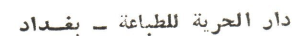
كمال الدين الطائي

تقديم

محمد خليفة التونسي


الطبعة الثانية

مزيدة منقحة


دار الحرية للطباعة ـ بغداد

علم التجـويد
ومكانته في الدراسات الاسلامية

بقلم سيادة الاستاذ الفاضل
محمـد خليفة التونسي
الموجه الفني للمدارس في ديوان الاوقاف سابقا

هذه «رسالة في التجويد» صنفها زميلنا الشيخ كمال الدين الطائي المدرس في المعهد الاسلامي بالحضرة الكيلانية في بغداد ، وهي من مقررات المرحلة المتوسطة في معاهدنا الاسلامية التابعة لديوان الاوقاف •

وكنا ـ منذ أسابيع ـ قد عرفنا بفضيلة الزميل في مقدمتنا لكتابه « رسالة في علوم الحديث وأصوله» ، وليس لنا ما نزيده على التعريف السابق الا ما يناسب هذه الرسالة في التجويد • فمن المفيد هنا أن نشير الى أن الزميل قد رزق موهبة الصـوت الندى الوديع ، يعرف ذلك كل من سـمع خطبـه المنبرية أيام الجمـع حيث يشغل الامامة والخطابة في جامع المرادية ببغداد ، ويعرفه أيضا كل من سمع قراءته للقرآن وهو يؤم المصلين •

وأطرف من ذلك أنه من أعرف البغداديين بالاصوات واللحون الموسيقية ولاسيما ما يسمى «المقامات العراقية» فهو يعد فيها من «الخبراء» وهو يتحمس لها، ويغالى بها ، ويعدها ذخرا وطنيا جديرا بالصيانة والفخار •

ولقد زاول الزميل دراسة علم التجويد سنوات في المدارس الدينية التي اشتغل فيها بالتدريس في بغـداد ، وهو يأخذ به قارئاً وخطيباً فيما يتلوه من آيات القرآن الكريم ، فحديثه هنا حديث باحث مطلع •

والرسالة بين يدي قارئها ، وله رأيه فيها وهو مسؤول عنه ، وغـني عن البيان ان صاحب الرسالة مسؤول أيضا عنها ، ولكن يحسن أن نشير الى وضوح جهده القيم في بحث مادتها وتنسيق فصولها ، ومع ذلك أبى له احتياطه وتواضعه

معا ـ كما يليق بالعلماء ـ الا ان يعرضها على بعض الخبراء ، فلما كان العام الماضي انتدب ديوان الاوقاف شيخين أزهريين متخصصين ليدرسا في مدارسه القرآن الكريم ، وعلم التجويد وعلم القراءات ، والشيخان هما محمود سيبويه البدوي وعبدالرافع رضوان ، وكلاهما حائز على شهادة التخصص في القراءات ، وعلى الاجازة العالية للدراسات الاسلامية والعربية من كلية الشريعة والقانون بالازهر ، فقد قدم زميلنا رسالته اليهما ابتغاء النصيحة والاستئناس ، ثم لما كان هذا العام ، وقرر الديوان طبع الرسالة على نفقته ، ليوزع نسخها على طلاب معاهده الاسلامية ـ اعاد زميلنا عرض رسالته على الشيخ محمود سيبويه البدوي الذي انتدب أيضاً هذا العام لتدريس علم التجويد في « كلية الامام الاعظم » التابعة للديوان ، فأجرى قلمه في سطور من بضع صفحات فيها .

وكل ذلك ـ وهو ما يعنينا هنا ـ دليل واضح على فضل زميلنا ، فهو من طلاب «الحقيقة» يعرف لنفسه فضلها كما يعرف لغيره فضله ، وهذا دأب كل باحث مخلص بصير سواء كان من العلماء أو غيرهم بين سائر العقلاء ، فمن أظهر سمات الخير والكفاءة في « طالب الحقيقة » انه يتوخاها في اخلاص وصبر ، ويبحث عنها في مظانها ، ويفطن اليها اذا لمحها ، ويتشبث بها أنى حصلها ، «والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها» وكل امرىء لا يخلص في توخي الحقيقة ويصبر على متاعب البحث عنها ، ويقبل على طلبها بحماسة العابد ، وعزم الشهيد ، ويتقبلها بغبطة الطفل اذا حصلها ـ فهو منقوص الحظ من أخلاق العلماء ، ورشد العقلاء ، فالعاقل ـ ولا سيما العالم ـ أبعد الناس عن التعالى والضجر في طلب الحقيقة ، ولا يتخلى امرؤ عن التواضع أو الصبر الا حين يفدحه الشعور بالنقص أو العجز ، فيموه على نفسه وعلى الاخرين بالاستعلاء والشغب ، ليخفف عن نفسه ثقل الشعور بالبلاء .

ومن حسنات هذه الرسالة ان زميلنا بدأها بمقدمة وافية ـ على الاسلوب التقليدي ـ تزيد صفحاتها على ثلث الرسالة ، وهي مدخل لازم لموضوع التجويد ، وقد بين في مقدمته محاسن التلاوة وعيوبها ، والتطريب فيها ، وآدابها وآداب الاستماع ، وتلا ذلك بالكلام على القراءات واختلافها ، والوجوه الادائية ، مع

تعريف يسير بكل واحد من أصحاب القراءات السبع المشهورة ، وجدير بالقاريء أن يعنى بهذا المدخل ويفيد منه في موضوع التجويد كما يعنى بقواعده .

وليس لنا ما نضيفه الى الرسالة بقسميها غير الاشارة الوجيزة الى بعض قضايا على أوثق اتصال بها ، ونحن نود أن نتدارسها مع القراء ولا سيما زملائنا المدرسين ، لعلها تفتح لنا أبوابا من التفكير لامناص لنا ان نطرقها بالحاح ، وسنبدي في كل قضية منها رأيا نود أن يكون أهلا للنظر عند الدارسين ، ولو لقي أخيرا بعض القبول أو الرفض التام .

١ ـ أول القضايا ان علم التجويد قسمان : قسم ديني محض هو الخاص بالقرآن الكريم ، وقسم لغوي عام ينطبق على كل الالفاظ العربية ومنها القرآن وغير القرآن .

ومن القسم الاول مثلا الفصول التي تتحدث بمراتب القراءة ، والاستعاذة ، والبسملة ، وأوجههما في أوائل السور القرآنية وأجزائها ومعرفة الوقوف في الآيات .

والقسم الثاني يشمل كل ما يصح ان نسميه «الصوتيات» وهي الصوتيات الخاصة باللغة العربية كما أثرت ألفاظها عن أصحابها الفصحاء ، ويبحث هذا القسم في الحروف والاصوات وعلاقاتها ومخارجها العامة والكلية والجزئية أو صفاتها اللازمة والعارضة ، والقسم الاخير أوسع القسمين ، وأعمقهما اصالة ، ويؤيد ذلك ان العربية كانت قائمة يوم نزل القرآن بها على نبينا محمد عليه السلام ، ويزيدنا بصيرة بذلك قول النبي «اقرأوا القرآن بلحون العرب» ومعنى هذا الحديث واضح في لزوم نطق الالفاظ القرآنية على نحو ما كان ينطق العرب به ألفاظ لغتهم صوتيا .

وهذا التفصيل لازم ، لانه يبين لنا ان علم التجويد ليس كله قرآنيا أو دينيا فحسب ، أو ليس كله خاصا بالقرآن الكريم وحده بل هو في صميمه أو جملة قواعده ـ وهي الصوتيات ـ علم لغوي لكل الالفاظ العربية ، ونظرة

واحدة متأنية الى تعريف علمائنا له تكشف لك هذه الحقيقة البسيطة التي قد تستغرب لاول وهلة ، كما تكشف لك الاضطراب في تعريفهم لموضوعه وغايته وفضله •

فالتجويد في اصطلاحهم «اعطاء كل حرف حقه ومستحقه» وحق الحرف عندهم اخراجه من مخرجه متصفا بصفاته الذاتية اللازمة له كالجهر والشدة والاستعلاء والغنة ونحوها ، ومستحق الحرف عندهم ايفاؤه صفاته العارضة كالتضخيم (الناشيء من الاستعلاء) والترقيق (الناشيء عن الاستفال أو السفول) •

أليس معنى هذا التعريف الذي لا خلاف فيه ان التجويد يعم كل الحروف أو الاصوات العربية سواء كان الملفوظ به قرآنا أو غيره من الالفاظ العربية ؟

ثم هل يتفق ذلك وقولهم ان موضوع التجويد هو «الكلمات القرآنية» وان غايته صون اللسان عن اللحن في القرآن وان فضله مستمد من تعلقه به لانه كتاب الله أشرف الكتب ؟

لا شك ان القرآن كتاب الله ، بل هو أشرف ما انزل من الكتب على أنبيائه عليهم السلام ، ولا شك ان الجانب الاعظم من شرف علم التجويد والسبب الاعظم للاهتمام به ، بل بانشائه ، هو تعلقه بالقرآن أشرف الكتب ، ولكن ألا ترى ان القواعد الصوتية فيه ـ مثلها مثل قواعد علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ـ تتناول كل ألفاظ العربية (وان كانت الالفاظ القرآنية أعلاها) ، ثم ألا ترى ان غاية «الصوتيات» كغاية علوم العربية الاخرى ـ هي صون اللسان عن اللحن في ألفاظ العربية بعامة (وان كان القرآن ـ لشرفه الاعلى ـ أجدر بصيانة اللسان في التلفظ به من كل لفظ عربي سواه ، واللحن في القرآن أقبح من اللحن في غيره من الكلام ، وان كان نوع اللحن واحدا ، اذ لا يترتب على اللحن في كلام الآخرين ما يترتب على اللحن في القرآن من المفاسد) ثم ألا ترى ان جانباً من فضل علم التجويد مستمد من تعلقه باللغة ذاتها لانها تراث عزيز على أهلها وغير أهلها من الناطقين بها ، وكذلك كل لغة

عند الناطقين بها ولا سيما أهلها (وان كان تجويد ألفاظ العربية أولى وأعلى لانها لغة القرآن كلام الله ، وهو معجزة نبي الاسلام عليه السلام) •

وقد جاء في القرآن الكريم «ورتل القرآن ترتيلا» أي جوده تجويدا ، فالله -تعالى- يؤكد الامر هنا تعظيما لشأن القرآن ، ويفسر الامام علي كرم الله وجهه هذه الآية فيقول «الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف» وتجويد الحروف ومعرفة الوقوف لازم في كل لغة ، ولا سيما لغة القرآن الكريم ، وما من لغة يخطىء المتحدث بها في تجويد حروفها ، أو يخل بوقوفها الا أخل باللغة وأخل بالمعنى الذي يريد أداءه للاخرين ، وهذا اخلال بوظيفة اللغة كلها وهي «البيان» أو «الافهام» أو «البلاغ» أي نقل المعنى من المتكلم الى السامع ، وهذا اخلال بالعقل نفسه أشرف ملكات الانسان ، واخلال بالانسانية نفسها لان العقل ميزة الانسان أو «الحيوان الناطق» على سائر الحيوانات التي لا تنطق أي لا تعقل ولا تتكلم •

ومع ذلك نعود الى العربية وغيرها من اللغات فنجد أن أهل كل لغة يعتزون بلغتهم ، لانها تراث أسلافهم ، وعنوان مجدهم وعبقريتهم الخاصة ، ثم هي خزانة ثمرات عقولهم ، بل هي مثال شخصيتهم الملية ، ولو لم ترتبط عندهم بكتاب مقدس خاص بهم ، أو عام بينهم وبين غيرهم من أصحاب اللغات الاخرى • حتى اذا جئنا الى العربية وجدنا أهلها وحدهم يفخرون بلغتهم ويباهون بها مما لا نظير له عند أهل أي لغة أخرى ، بل نستطيع أن نجزم بأن الاعتزاز اللغوي عام بين أصحاب اللغات جميعا ، ولكن الفخر اللغوي لا يوجد الا بين أهل العربية ، فاللسن أو الفخر بالفصاحة اللغوية آية العروبة لا شك ، وهي خصيصة ملية توارثها أهل العربية من أقدم عصورها المعروفة حتى اليوم • ولهذا الفخر اللغوي أو اللساني أسبابه الكثيرة ، ولعل السبب الاكبر الجامع لأكثر هذه الاسباب هو أن لغتهم أكبر مشخصات عبقريتهم وشخصيتهم الخاصة ، فاذا فخرت الامم الاخرى عليهم بحظوظها من الحضارة أو الثقافة - مما لا نظير له عند العرب - لم يجدوا لاثبات حقهم في الفخر والاستعلاء ما هو أولى من هذه اللغة ، ومزاياها وحدها تعادل عندهم أو تزيد على كل ما تقدمه الامم

الاخرى من مفاخر ثقافية وحضارية •

٢ – والقضية الثانية تربوية في بعض جوانبها ، وهي أن علم التجويد ليس غاية بل وهو وسيلة الى ما يمكن أن نسميه «فن التجويد» أي النطق الصحيح لالفاظ العربية – ولا سيما القرآن الكريم الذي يبدو للنظرة الاولى ان المحافظة على سلامة نطقه هي السبب الوحيد أو الاكبر في مباحث علم التجويد ، وان كنا نرى العناية بقواعد النطق الصحيح للعربية قد ظهرت بين العرب قبل الاسلام ، ولكن القواعد لم تبحث ولم تدون بطريقة علمية صحيحة الا بعد نزول القرآن بفترة وجيزة ، وحسبنا ما يرويه لنا التاريخ من اتخاذ أهل مكة المراضع لاطفالهم – من قبائل معينة في البادية لينشأوا على النطق الصحيح للغة ، وهكذا تحدثنا السيرة النبوية عن النشأة الاولى للنبي عليه السلام في البادية عند مرضعته حليمة السعدية ، وفي الأثر ان النبي كان يقول « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش» وكان ينسب فصاحته الى قرشيته ونشأته في بني سعد (رهط مرضعته حليمة) ، وكان الشعراء أو معظمهم لا يلقون قصائدهم حدرا – كما نفعل اليوم – بل يطربون بها ، ومن هنا جاءت كلمة «الانشاد» للتكلم بالشعر ، فيقال أنشد فلان قصيدته ، أي تغنى بها ، وكان الأعشى يسمى «صناجة العرب» ومن هنا تسمى القصيدة عندنا أحيانا «النشيد» ويقابل ذلك عند الغربيين "Ballad" اذ يظهر ان الشعراء القدماء في كل الامم كانوا يتطربون وهم يلقون ما ينظمون ، وكذلك كان غيرهم من المنشدين "Ballad - mongers" أوالمغنين "Singers" وكلها بمعنى واحد أو متقارب •

فالمقصود من علم التجويد هو العمل به أو تطبيق قواعده ، أو التزامها حين ننطق أي لفظ عربي سواء كان من القرآن أو غيره ، وأقرب طريقة يكتسب بها المرء الفصاحة العربية هي التزام قواعد التجويد عملا في قراءة القرآن الكريم ، لانها لا تظهر في كلام عربي ظهورها في القرآن «تجويد الحروف ومعرفة الوقوف» ولذلك يعمد كثير من طلاب الفصاحة كالمحامين والادباء والخطباء – الى تدريب ألسنتهم على تجويد القرآن ولو كانوا من غير المسلمين، فالقرآن هو الاساس في التجويد ، وما عداه من كلام عربي فتابع له ، وان كان

المرء لا يتمكن من تجويد النطق العربي كما يمكنه من ذلك تجويده القرآن .

ودارس علم التجويد لن يفيد منه شيئا من الفصاحة - ولو أحاط معرفة بكل قواعده - ما لم يأخذ بكل دقائقه في كل ما ينطق به من ألفاظ عربية سواء كانت من القرآن أو غيره ، ولا عذر للدارس في التخلي عن أهون قاعدة في ذلك الا أن يكون مصاباً بالعجز الخلقي أو شبه الخلقي في النطق ، ونعني بالعجز الخلقي ما كان ناشئاً عن علة في بعض أعضاء الجهاز الصوتي ، كما نقصد بشبه الخلقي ما كان ناشئا من استحكام العادة في النطق المعيب ، حتى كان العيب ناشئا من خلل في بعض أعضاء الجهاز الصوتي ، مع انها سليمة ، وهذا ما يلاحظ في النطق الاعجمي للالفاظ العربية ، والعيوب الاولى عضوية أو طبيعية في الخلقة ، والثانية وظيفية أو اصطناعية في الاداء .

ان علم التجويد كغيره من العلوم التي نسميها الوسائل ، أو «علوم الآلة» ومنها النحو والصرف والبلاغة ، ومنها المنطق ، ومنها علم أصول الفقه ، فلا خير فيها للدارس الا بتطبيقها والتدرب عليها حتى تصير قواعدها سليقة أوملكة له ، وهذه غاية «التربية» ونحب ان نهمس في آذان الدارسين في معاهدنا والمعاهد التي تهتم بالدراسات الاسلامية حتى العالية بما في ذلك الكليات الجامعية في أعلى أقسامها - بأن دراسة كتب «الآلات» لا قيمة لها عند الدارس الا بمقدار ما تبلغه الى غاياتها وغاياته منها ،فلا فائدة له من التمسك بنصوص الكتاب المقرر وقواعده كأنه يتعبد بحروفه ، ولا جدوى من استظهاره الكتاب ما لم يفهمه ويتذوقه ، حتى تصير معلوماته جزءاً من تفكيره وسيرته العقلية ، كما ونهمس في آذانهم ان القواعد لا تصل الى الاذهان في وضوح الا بالطريقة الاستقرائية مع الاكثار من التدريب عليها والأخذ بها في الحياة اليومية للدارس خلال نشاطه في التفكير والتعبير ، فيحسن بالدارس التخفف من علوم الآلة الا بقدر ما تؤديه الى غايتها ، فغاياتها أعلى منها وأجدر بالعناية ، ثم ان الفهم فوق الاستظهار ، والعلم فوق الكتاب ، والسليقة أو الملكة أعلى درجات المعرفة ، والشخصية البشرية فوق كل علم ومعرفة ، وهي قوام الحياة ، أو العطية الالهية الكبرى الوحيدة الشاملة للمرء ، وهي لذلك قبلة المربين في عملية التربية ، سواء في تربية المرء نفسه أو

الآخرين ، والشخصية هي منــاط الحقوق والواجبات والمسئوليات واستحقاق الحياة ، كما انها مناط كل معرفة ، وكل ملكة ، وليست التربية الا قدح عقول وهز مشاعر ، وحفز همم ، وكل ذلك لا يتهيأ للدارس الا عن طريق المعاناة في النظر ثم في التجربة والاستنباط والدربة ، فبالمعـــاناة على هذا النحو تتفتح العقول ، وتنشط المشاعر ، وتتحفز الهمم ، وتتكون الملكات ، وتتكامل الشخصية، فيعرف المرء نفسه وما حوله مباشرة ، ويتذوق متعة هذه المعرفة المباشـرة بحكم أنها جزء من كيانه ، وهذه أعلى متعة كلية وأصفاها وأرسخها في الحياة ، وأي متعة فوق أن يحقق المرء ذاته ، ويشعر مباشرة بها في تمامها مع شعوره المباشـر من خلالها بالوجود كله •

ما كان لنا ولا الموجود كله ولا لأي شيء فيـه أن يوصل الينا نبض حياته ونوصل اليه نبض حياتنا حتى نصافحه مباشرة « دون قفاز » فعلينا أولا أن نجرد أنفسنا وعقولنا للعلم كي نستفيده ، ثم نجردها من حجب العلم لنتصل مباشرة بالحقائق الكونية الكبرى ، وتلك منزلة « المقربين » فاذا كنا نعجز عنهـا فلا أقل من أن نحاول قطع الخطوات الميسورة من طريقها ، ومما يرشدنا قول الله لموسى « اخلع نعليك ، انك بالوادي المقدس طوى » •

٤ ـ علم التجويد أو قسم « الصوتيات » هو أحد علوم العربيـــة كالنحو والصرف والبلاغة والعروض ، وقد دأبنا على تمزيق هــذه العلوم ودراستها منفصلا بعضها عن بعض بطريقة ميتة ، وقلما نفطن الى ان التجويد من هــذه العلوم الا أن يذكر القرآن الكريم ، وهذا خطأ واضح بل فاضح ، وكان خيرا لنا لو اننا نظرنا الى هذه العلوم كأنهـا أجهزة أو أعضـــاء متكاملة الوظائف لجسد حي واحد ، بدلا من تمزيقها أشلاء ، ومن دراسة كل شلو فيها وهو ميت منفصل عن سائر الجسد ، فمن لم يدرس علم التجويد أو يتعلم فنه فقد جهـل جانبا عظيما من العربية ، ويلاحظ ان كثيرا من القواعد التي نسميها نحوية أو صرفية هي قواعد صوتية ، فهي أدخـل في علم التجويد منهـــا في النحو أو الصرف •

وما من لغة راقية في العالم الا ودراسة أصواتها أو طرق نطقها وأدائها صحيحة - جزء من دراسة قواعدها العامة ، بل هو أول أجزائها ، فهو قرين دراسة حروفها الهجائية التي هي أول ما يتعلمها الدارس ، (ولا سيما الاجنبي) ، ومن هنا كانت نشأة علم «الصوتيات» أو علم التجويد العام فيها ، بل هكذا بدأت دراسة قواعد لغتنا العربية كما يدل على ذلك تتبع نشأة علومها ، فقد بدأت دراستها لمعرفة « نحو العربية » والمقصود بالنحو هنا معناه العام ، أي الطريقة التي يتكلم بها العرب لغتهم ، ويدخل في « النحو » بهذا المعنى معرفة أصواتها ، ومعرفة مفرداتها وأوزانها وطرائق تركيبها ، وأساليبها في الدلالة وقوتها ودرجتها ، كما يشمل معرفة قواعدها التي تسمى « علوم البلاغة » ودراسة العروض في الكلام الموزون المقفى ، بل يشمل ما يسمى في النقد الحديث « الموسيقى الداخلية » التي تنشأ من جيشان العواطف في الكلام •

ويلاحظ في الكلام بأي لغة ان المعنى هو الأساس الذي يعبر عنه ، وان الالفاظ وسيلة الدلالة على المعنى ، واختيار حروف أي عبارة لازم لاداء المعنى وافيا ، لان للحروف أو الاصوات قيمتها في الدلالة على المعنى ، ولا حاجة بنا هنا للدخول في معركة البلاغة وهل هي في اللفظ أو المعنى ؟ لتلازم الاثنين ، وان كان المعنى هو الذي يقود اللفظ عند المتكلم ، واللفظ هو الذي يبلغ المعنى عند السامع • وليس المعنى مقصورا على الافكار فحسب بل يشمل الصور والأحاسيس ، مع ملاحظة ازالة اللبس في كل معنى بين فكرة وفكرة ، وصورة وصورة ، واحساس واحساس ، لتكون الالفاظ دالة على كل منها مع توضيح قوة الدلالة ودرجتها •

٥ - اختصت لغتنا العربية من ناحية النطق بعدة خصائص فنحن اذا قسناها بمقاييس علم الألسنة لا نجد لغة تفوقها بل تضارعها جملة في ألفاظها وقواعدها وان ضارعتها بل فاقتها في بعض التفصيلات ، ويهمنا من هذه المقاييس مقياس جهاز النطق البشري - وهو عام بين البشر جميعا - فلغتنا تستخدم هذا الجهاز أتم استخدام وأرشقه وأوضحه ، وتنتفع بكل وظائفه الصوتية ، ولا تهمل موضع استخدام فيه من الجوف فالحلق فاللسان (والاسنان) حتى الشفتين والخيشوم •

وهذه هي المخارج الخمسة العامة في جهاز النطق البشري وهذه المخارج العامة تتقسمها مخارج كلية سبعة عشر ، (عند الخليل بن أحمد) أو ستة عشر (عند سيبويه) أو أربعة عشر (عند قطرب والقراء) ، ثم هذه المخارج الكلية تتقسمها مخارج جزئية ، فالحلق مثلا مخرج صوتي عام تتقسمه ثلاثة مخارج كلية : أقصى الحلق ووسطه وأدناه ، وكل من هذه المخارج الثلاثة يتقسمه مخرجان جزئيان ، فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة فالهاء ، ومن وسطه مخرج العين فالحاء (المهملتين) ، ومن أدناه مخرج الغين فالخاء ، وقد جمعها في بيت واحد صاحب « تحفة الاطفال » التي كانت أول ما حفظنا ودرسنا من هذا العلم في أيام صبانا نضرها الله ، والبيت هو :

همز فهاء ، ثم عين حاء مهملتان ، ثم غين خاء

ومن هنا يتبين لك ان لكل صوت (أو حرف) أصواتا تقاربه في طريقة نطقه فهي من أسرة واحدة ، ومجموع هذه الاسرة هو مايسمى « وحدة صوتية » "Phoneme" في علم الأصوات Phonetics .

ويلاحظ في لغتنا العربية ـ بمقياس جهاز النطق البشري ـ ان لكل صوت مخرجا (جزئيا) وان لكل مخرج (جزئي) صوتا ، فلا خلط بين صوتين أو حرفين ، ولا خلط بين مخرجين ، وهذا بعض ما تعنيه كلمة الفصاحة حين نصف بها لغتنا العربية ، ومن تمام معنى الفصاحة في طورها الأخير اختزالها للحركات بين ضم وفتح وكسر طويلة أو قصيرة ، فنطقها مستقيم أشد الاستقامة ، ومن هنا اهمالها الامالة ونحوها في النطق أخيراً ، وان بقيت في بعض القراءات للقرآن الكريم ، ولا مكان لها في غير القراءات لدى أي كلام عربي فصيح ، وان كانت قائمة اليوم في بعض لهجاتنا العامية .

ويكفي أن تقارن أصوات لغتنا بأصوات أي لغة أخرى لتعرف فضل لغتنا في استقامة النطق واستخدامها لكل موضع في الجهاز الصوتي برشاقة وسهولة ، على حين أن كثيرا من الاصوات في اللغات الاخرى بين صحيحة أو ساكنة Constants ومعلولة Vowels ومعلولة مشتركة Diphthong مبعثرة ،

وبعضها يتطلب مخرجين في وقت واحد ، مما اضطر علماء الاصوات في معظم اللغات الراقية الى وضع رموز كثيرة لها ، وللتمكن من ضبطها في جميع اللغات ظهرت جمعية علم الصوت الدولية International Phonetics Association واستعملت في ضبط الاصوات رموزا موحدة تحويها رسالة عنوانها :

Principles of the International Association.

مبادىء الجمعية الدولية .

وهناك أيضا كلمات لغتنا ، فكل أسمائها وأفعالها قياسية موزونة ، ومعنى ذلك انها موسيقية منغمة ، وهذه مزية لا تضارعها فيها سائر اللغات حتى أخوات العربية الساميات كالآرامية والكنعانية والفينيقية والعبرية والسريانية والآشورية والسبئية والحبشية : الجعزية والامحرية ، وصيغ الأسماء والأفعال في لغتنا أو أوزانها تتعدد وتتنوع كأوسع ما تكون في أي لغة ، لتدل بتنوعها - مع كثرتها - على مدلول كل صيغة ، مع وضوح قوة الدلالة ودرجتها .

٦ - والقضية الاخيرة هنا ما يسمى « التطريب » في تلاوة القرآن الكريم ، وليس من هم مثلي أن يدور بك على أقوال العلماء في ذلك ، بل نتجه فورا الى القضية وننظر فيها بما وهبنا الله من وسائل الادراك والتمييز ، وأصل القضية ان القرآن كلام مقدس ، ولكي يؤتى أثره ينبغي أن يؤدى كما يليق بمقامه من قداسة ، والقرآن فوق كل مقدس من أنواع الكلام ، لانه كلام الله ومعجزة أشرف أنبيائه عليه وعليهم السلام .

واسأل نفسك هل يليق التطريب - حتى التخلع - بأي كلام ديني يتلى أو يغنى كالأناشيد والموشحات والأغاني الدينية في أي دين ؟ ان الغاية في النطق بأي كلام ديني هي استحضار الخشوع والجلال في النفس ، فلا بد أن يتكفل نطقه بتحقيق هذه الحالة سواء نطق به تلاوة أو انشادا أو غناء ، فاذا اتفقنا على ذلك سهل علينا الحكم في القضية ، فكل ما يخرج بالكلام الديني عن غايته فهو مرفوض ذوقيا ، قبل أن يرفض دينيا ، لانه يؤذي الذوق الفطري السليم .

ومع اننا معشر المسلمين لا نرى بأسا في وصف الله تعالى بأنه جميل - نجد أننا اذا تتبعنا أسماء رجالنا لا نجد من يسمى « عبد الجميل » ولكن نجد كثيرا

يسمون « عبدالجليل» فالله يناسبه الجلال ، وهو أليق بمقامه من وصفه بالجمال، وهذه التفرقة الدقيقة جديرة بالنظر ، ولا أعرف أحدا توسع فيها من مفكرينا وفلاسفتنا قديما الا الامام الغزالي في كلامه على أسماء الله الحسنى » ونلاحظ انه ليس من بينها اسم « الجميل » ، ولكن فيها « الجليل » و « ذو الجلال والاكرام » كما ان في سورة الرحمن آيتين في ذلك : أولاهما « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ، والثانية ختام السورة « تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام » ويلاحظ ان الوصف في الثانية لله نصا ، وفي الاولى وصف له بسبب منه ، وهو وجهه أو وجهته أو اتجاهه في ابداعه ، وتقرأ القرآن كله فلا نجد « الجمال » وصفا لله أو بسبب منه ، وكل ما جاء فيه موصوفا بالجمال هو شعور أو خلق أو عمل بشري ، وهذا أمر جدير بأن يستوقف النظر ، لأن القرآن هو المرجع الاول في الاسلام ، وشعور المسلمين الفطري هنا قد جاراه ولم يزل يجاريه •

ومن المؤسف اننا حتى الآن لم نوف هذه الدراسة حقها في ثقافتنا العربية أو الاسلامية ، ولكن الغربيين قد اعتنوا أشد العناية بمباحثها ولا سيما فلاسفة الفن ونقاده ، ومن هنا نشأ علم خاص بهذه المباحث هو علم استيتقا Aethetics وقد ميز تمييزا واضحا بين الجليل Fublime والجميل Beautiful فالجميل محدود يجذب النفس اليه بسرعة ويطلق في النفس قواها الحيوية ، ويغريها بخفة المراح ونشوة اللعب ، ولكن الجليل يوقظ أعماق النفس ويكبح قواها ، ويلزمها شدة التنبه وكمال الوعي ، فتشعر بالخشوع والروعة والرهبة ، أو الاعجاب والسمو والقداسة ، لانه يوحي للفكر بالمعاني المطلقة •

ويعنينا من كل ذلك ان القرآن الكريم ، بل كل كلام ديني ينبغي له أن تستحضر في النفس حالة الجلال وما يناسبها من الخشوع والسمو والقداسة والاعجاب ، وفي هذا توضيح معنى الحديث الشريف « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » •

وتتصل بهذه القضية قضية صغيرة ألجأنا الى ذكرها رأي قرأناه للشيخ محمود خليل الحصري شيخ المقارىء المصرية العامة ، وهو من أشهر القراء المعاصرين ، ففي رسالة تنسب اليه عنوانها « مع القرآن الكريم » يشير الى اختلاف العلماء في قراءة القرآن بالألحان اذا كانت في دائرة القواعد المحدودة التي وضعها علماء التجويد مستنبطين اياها من القراءة التي وصلت متواترة عن النبي بحيث لا تخرج عنها قيد شعرة ، ثم أشار الى ان القراءة بالالحان اذا خرجت عن هذه القواعد فهي محرمة باجماع العلماء ، ثم قال : « والذي أراه أنه يجوز للقارىء أن يقرأ بأي نغمة (كذا) موسيقية : الحجاز ، النهاوند ، العشاق ، الصبا ، العجم ، الرست ، الى غير ذلك من النغمات (كذا) : بشرط أن يحافظ كل المحافظة على قواعد التجويد ، ولا ينحرف عنها يمنة ولا يسرة ، بحيث يجعل هذه القواعد في المحل الاول ، ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى ، حتى اذا تعارض عنده – في بعض الاحيان – ضبط الكلمة القرآنية من ناحية التجويد ، وضبطها من ناحية الموسيقى بحيث يتعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معا – فانه يؤثر ضبطها تجويدا ، ولو ترتب على ذلك الاخلال بقواعد الموسيقى ، أما اذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدي الى الاخلال باصول التلاوة وأحكام الاداء فان القراءة بها تكون محرمة باجماع المسلمين ، يأثم قارئها بقراءتها ، ويأثم المستمع بسماعها » .

ورأيي – في حدود ما أعرف من قواعد التجويد وقواعد الموسيقى معا – ان حالة التعارض التي افترضها الشيخ الحصري مبينهما ، ولو في بعض الاحيان كما قال – ليست قائمة الا عند من لا يحيط خبرا بقواعد التجويد أو بقواعد الموسيقى ، أو بهما معا ، أما المتمكنون من هذه وتلك معا فيعرفون أنه حيث تستقيم هذه تستقيم تلك ، وحيث يتحقق أي خلل هنا فهو خلل هناك ، وبخاصة عند مراعاة التمييز بين الجمال والجلال كما وضحنا في الفقرة السابقة ، كما يجب أن نلاحظ ان هذا التعارض مستبعد جدا بيننا نحن الشرقيين ، فان آذاننا وموسيقانا تدرك من أجزاء النغم وتميز بينها ما لا تميزه آذان الغربيين ، ولا يقف عندها توقيتهم الموسيقي ، وذلك يتضح عند الموازنة بين الانغام ودرجات

الموسيقى عندهم وعندنا ، فنحن أعرق منهم في ذلك ، وآذاننا أرهف ، وكثير مما تدركه آذاننا وتقيده ألحاننا يتجاوزونه عندهم لانهم لا يميزون دقائقه وان كان لهم ما ليس لنا من الاعمال الموسيقية العظيمة .

أما تلاوة القرآن أوأي كلام ديني بما يخرجه عن قواعد التجويد فليس محرما عند العلماء وحـدهم ، بل هو منفر وممقوت من كل ذي ذوق فطري سليم وان كان لا يعرف أسباب مقته والنفور منه الا عـالم بقواعد الموسيقى أو قواعد التجويد ، وقد خلقت الاذواق السليمة فطرة في الانسان قبل أن تعرف قواعد الموسيقى وقواعد التجويد ثم ان الذوق أهـدى سـبيلا ، وان كانت هـذه القواعد وتلك لازمة للتعليل والتفسير أكثر منها للادراك والتمييز .

وأملي أخـيرا أن أرى في الكتب والرسائل التي تؤلف في علم التجويد اليوم - استفادة مما كتبه علماء الغـرب في الصوتيات Phonetics ، لانهـم استعانوا فيها بآلات التسجيل ، وعرضها على سرعات متفـاوتة ، فميزوا بين أصوات كثيرة مما كان يلتبس على الآذان ، ونسأل الله أن يمكننا من الافادة بكل ما فيه الخير لتجلية تراثنا الاسلامي والعربي ، وتنميته حتى ينال ما هو أهله من التقدير والتكريم .

بغداد في ١٩٧١/٥/٢

محمد خليفة التونسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • والصلاة والتسليم على أفضل خلقه محمد في الأولين والآخرين • وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين •

وبعد فهذه عجالة في قواعد ترتيل الكتاب الحكيم ، أمليتها على أولادي طلاب المدرسة القادرية صانها الله ورعاها ونفع بها وبطلابها •

واني لأسأله تعالى أن يوفقنا لعمل الصالحات ، وخدمة كتابه الكريم ، وأن يهدينا سبل الطاعات ، وان يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، انه قريب مجيب الدعوات •

كمال الدين عبدالمحسن الطائي

الطبعة الثانية

بعد أن نفذت الطبعة الاولى من رسالة (قواعد التلاوة) أعدت النظر فيها ، وأضفت اليها الشيء الكثير من محصول مطالعاتي لكتب من تقدمني من علماء هذا الفن ، جزاهم الله خيرا ، وها أنا أقدمه لأولادي الطلاب بترتيب جديد حسب مناهج الدراسة في المعاهد الاسلامية وباضافات نافعة ان شاء الله • والله يهدينا سواء السبيل • والحمد لله أولا وآخرا •

المقدمـــــة

التجويد : مصدر من جوده تجويدا • والاسم منه الجودة ضد الرداءة ـ فهو عبارة عن الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ ، بريئة من الرداءة في النطق • واعطاء الحروف حقها ومستحقها •

فالتجويد حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، واعطاء الحروف حقها وترتيبهـا ومراتبها ، ورد الحرف الى مخرجه وأصله ، والحاقه بنظيره ، وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير اسراف ولا تعسف والى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما انزل ، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد • يعني عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وكان رضي الله عنه قد أعطى خطا عظيما في تجويد القـرآن وتحقيقه وترتيله حتى انه كان يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تلاوته •

ان الاسماع لتلتـــذ بقراءة القرآن الحكيم مجوداً مصححاً في تلاوتـه ، وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد يسلب العقول ويأخذ الألباب •

محاســن التلاوة وعيوبهــا

يجب على طالب التجويد أن يكرر الالفاظ التي تنقـاها من فم استاذه ويريض بها لسانه حتى يستقيم في اخراجها على الصـــورة اللازمة • قال أبو عمرو الداني :

ليس بين التجويد وتركه الا رياضـــة لمن تدبره بفكه ، فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ولا بتمطيط الصوت ، ولا بتقطيع المــد ، ولا بتطنين الغنـات ، ولا بحصرمة الراءات ، ولا قراءة تنفـــر عنها الطباع وتمجهـا القلوب والاسماع ، بل القراءة السهلة العـذبة الحلوة اللطيفـة التي لا مضغ فيها ولا لوك ، ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والاداء •

وقد سمع حمزة بن حبيب الزيات قارئاً يبالغ في الغثاث فقال له : أما علمت ان ما فوق البياض برص وان ما فوق الجعود قطط ، وان ما فوق القراءة ليس بقراءة •

فالقراءة بهذه العيوب التي ذكرت ممنوعة ممجوجة يأنف منها الطبع • ويمجها السمع لما فيها من التكلف والتعسف ، ولانها مخالفة للنطق العربي الفصيح • فالواجب مراعاة اخراج الحروف من مخارجها فلا ينطق بالعين همزة ، ولا بالحاء هاء ، ولا بالضاد طاء أو دالا ، كما يجب توفية الحروف حقها من الصفات كالترقيق والتفخيم والادغام والاظهار ، والاخفاء ، والقلقلة والشدة ، والاستفال والانفتاح، والاصمات، والمد والقصر ، والاذلاق والهمس، والرخوة والاستعلاء ، والجهر والتوسط والانحراف ، والتكرير والصفير، والتفشي والاطباق والاستطالة والغنة واللين وان لم يفعل يكن من الداخلين في قوله عليه الصلاة والسلام رب تال للقرآن والقرآن يلعنه •

قال ابن الجزري في كتابه النشر :

لا شك في ان المسلمين كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن واقامة حدوده ، متعبدون كذلك بتصحيح ألفاظه واقامة حدوده على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية والأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول الى غيرها ، والناس في ذلك بين محسن ومأجور • ومسيء وآثم أو معذور فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح ، وعدل الى اللفظ الفارسي العجمي النبطي القبيح • استغناء بنفسه ، واستبداداً برأيه ، واتكالا على ما ألفه من حفظه ، واستكبارا عن الرجوع الى عالم يوقفه على تصحيح لفظه ، فانه مقصر بلا شك ، وآثم بلا ريب ، وأما من كان لا يطاوعه لسانه أولا يجد من يهتدي به الى الصواب ، فان الله تعالى لا يكلف نفساً الا وسعها ، وقد أجمع العلماء على أن النقص في كيفية النطق بالقراءة كالنقص في جوهر القرآن ومادته فمن نقص مدة أو غنة أو فخم مرققا ، أو رقق مفخما ، أو أظهر مخفيا أو مدغما كان كمن نقص بعض حروف القرآن وأسقط أشياء

من كلماته ، والزيادة كالنقص ، فمن زاد في الغنات والمدود ، أو بالغ في بعض صفات الحروف حتى خرج بها عن الحد المألوف أو مطط في الحركات حتى تولد عنها الفات وواوات وياءات ٠ كان كمن زاد في القرآن ما ليس منه من الحروف والكلمات ٠ وكلا النقص والزيادة في القرآن حرام وبدعة مردودة ... أ هـ ٠

ومن المبتدعات التي تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد ادائه ما أحدثه بعض القراء أثناء تلاوتهم لكتاب الله تعالى ٠ منها :

الترعيد : وهو أن يرعد القارىء صوته كأنه يرعد من برد أو ألم أصابه ٠

وكذاالقراءة بالترقيص : بحيث يرقص القارىء صوته بالقرآن ، فيزيد في حروف المد حركات بحيث يصير كالمتكسر الذي يفعل الرقص ٠

وقيل : القراءة بالترقيص هي أن يروم القارىء السكت على الساكن ثم ينفر عنه مع الحركة في عدو وهرولة ٠

وكذا القراءة باللين والرخاوة في الحروف : وكونها غير صلبة بحيث تشبه قراءة الكسلان ٠

وتقطيع الحروف بعضها عن بعض بما يشبه السكت ، خصوصا الحروف المظهرة ٠

وكذا اشباع الحركات بحيث يتولد منها حرف مد ٠

ومبالغة القارىء في القلقلة في حروفها حتى يبلغ بها مرتبة الحركة وزيادة المد في حروفه على المد الطبيعي بلا سبب ٠

وكذا لوك الحروف كما يفعل السكران ٠

فتجويد القرآن فرض على كل مسلم ومسلمة عند التلاوة ، صيانة له عن أن يجد اللحن والتغيير اليه سبيلا ، فتجويد اللفظ ، وتقويم الحروف ٠ وحسن الاداء ، واجب على كل من قرأ شيئا من القرآن كيف ما كان ، لانه لا رخصة

في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا اليه • فكما يجب تدبر القرآن وفهم معناه يجب تصحيح ألفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المأخوذة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام •

وان الاداء في القراءة متواتر ، وقال العلماء : ان أصل المد والامالة متواتر ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كيفيته وانما ثبت آحادا فقط ، وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواتر لانه اذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر ادائه •

التطريب في التــلاوة

ذكر أكثر العلماء ان رفع الصوت بقراءة القرآن والتطريب به مستحب ، ومنهم أبو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما ، لان القارىء اذا أحسن الصـــوت بالتلاوة كان أوقع في النفوس ، وأسمع في القلوب ، وما من أحـد يسمع قراءة المجودين اولى الاصوات الحسنة الا ويشعر بتأثير عظيم وانشراح في صدره ، وخضوع وخشوع في قلبه ، وندم وتقريع لنفسه على ما فرط في جنب الله تعالى وقد كان لتلاوة القرآن بأصوات رخيمة تأثير عظيم للجذب الى الاسلام وان اكثر الصحابة قد أسلموا لما سمعوا القرآن ومنهم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، فلقد أعلن اسلامه عند سماعه القرآن من دار شقيقته • واننا نقرأ ان كثيرا من غير المسلمين قد امتدحوا القرآن وان لم يؤمنوا لجمال وقعه في نفوسهم ، وحلاوة تلاوته في أسماعهم •

وقد كان المشركون يؤذون سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه ويمنعونه من الصلاة في الحرم المكي ، ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في المسـجد الذي اتخذه في داره لما رأوا من اقبال الناس على سماع ما يقرأ ، لتأثير قراءته في النفوس، لان نغمات القرآن تنتقل الى حواس السامع الباطنية حتى تسيطر عليها وتقودها مرغمة الى الاصغاء والانصات ولقد بلغ من سيطرة نغمات القرآن على الحواس الباطنية انه يكفي أن تقال آية فيهـا خطأ أمام شخص ولا يحفظ القرآن ولكن له المام يسير ببعض سوره لكي يدرك ان في هذه الآية لفظا قلقـا

وان من الخير مراجعة المصحف ... روى البيهقي عن يحيى بن اكثم قال : دخل يهودي على المأمون فأحسن الكلام فدعاه الى الاسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلما فتكلم في الفقه فأحسن الكلام فسأله المأمون ما سبب اسلامه . قال : انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها على البيعة فاشتريت مني وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الى الوراقين . فتصحفوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها فعلمت ان هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي .

قال جبير بن مطعم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه وخلت فؤادي قد انصدع ، وكان جبير اذ ذاك مشركا ، فأثرت فيه قراءته عليه الصلاة والسلام فأعلن اسلامه .

وقال البراء بن عازب : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء (والتين والزيتون) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وقال قتادة : ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه ، حسن الصوت ، حتى بعث نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت . وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : زينوا القرآن بأصواتكم . وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن . وقال : لله أشد آذانا الى الرجل الحسن الصوت من صاحب القينة الى قينته .. وقال : لكل شيء حلية ، وان حلية القرآن الصوت الحسن.. وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها انها قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ، ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد . قالت فقام فقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت الي فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا .

وكان أبو موسى الاشعري رضى الله عنه يقرأ يوما القرآن، فمر به رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثم رآه عليه الصلاة والسلام في اليوم التالي فقال لـه : يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقـال أبو موسى أما والله لو علمت انك تسـمع قراءتي لحبرتها لـك تحبيراً وان مزامير داود انزلت لأجـل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتتجمع لصوته وترجع ترنيمه •

ولقد كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا بربنـا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن وكان عمر يقول من اسـتطاع أن يتغن بالقرآن غنـاء أبي موسى فليفعل وقال أبو عثمان الهندي تلميذ أبي موسى ما سمعت طنبورا ولا صنجا ولا مزماراً أحسن من صوت أبي موسى الاشعري كان يصلي بنا فنود انه قرأ البقرة •

وعن أنس بن مالك : ان أبا موسى الاشعري قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي صلى الله عليه وسـلم فقمن يسـمعن فلما أصبح ـ قيل له : ان النسـاء كن يسمعن ، فقال لو علمت لحبرتكن تحبيرا ، ولشوقتكن تشويقا •

ولقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعقبة بن عامر وكان من أحسن الناس صوتا أعرض على سورة كذا ، فعرض عليه ، فبكى عمر وقال : ما كنت أظن انها نزلت •

وكان علقمة أبو شبل التخعي الفقيه الكبير من أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان اذا سمعه عبدالله بن مسعود يقول : لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسر بك •

وكان عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي حسن الصوت بالقرآن ، فخرج ليلة يقرأ ، وجهر بصوته فاجتمع له النـاس فقال سعيد بن المسيب فتنت النـاس ، فدخل •

وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي من أحسن الناس قراءة قال أحد معاصريه : كنا اذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض قوموا بنا الى هذا الفتى المطلبي

يقرأ القرآن فاذا أتيناه استفتح القرآن حتى يتساقط النـــاس ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته ، فاذا رأى ذلك أمسك عن القراءة •

وروى عن ابن جريج انه قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، فقال عطاء لا بأس بذلك يا ابن أخي •

وقد كانت القراءة في صدر الاسلام أما تحقيقاً أو حدراً أو تدويراً (١) فلما كانت المائة الثانيـة كان أول من قرأ بالتلحين والتنطيق عبيدالله بن أبي بكرة وكانت قراءته حزنا ليست على شيء من ألحان الغناء والحداء ، فورث ذلك عنه حفيده عبدالله بن عمر بن عبيدالله فهو الذي يقال له قراءة ابن عمر ، وأخذها عنه الاباضي ، ثم أخذ سعيد بن العلاف وأخوه عن الاباضي وصار سعيد رأس هذه القراءة في زمنه ، وعرفت به لانه اتصل بالرشـيد فأعجب بقراءته وكان يخطبه ويعطيه حتى عرف بين الناس بقارىء أمير المؤمنين (٢) •

ويقول الهيثم العلاف ـ قرأت عند المنصور فقال : ما لكم أهل البصـرة أقرأ البلاد •

قال الحافظ أحمد بن حجر في شرحه على البخاري ما ملخصه :

ولا شك في ان النفوس تميل الى سماع القرآن بالترنم أكثر من ميلهـا لمن لا يترنم ، لان للتطريب تأثيراً في رقة القلب واجراء الدمع ، وكان بين السلف اختلاف في جواز تلاوة القـرآن بالالحان • أمـا تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك وقد نص الامام الشافعي في المختصر علـى جواز القراءة بالالحان • وعن رواية الربيع الجيزي انها مكروهة • وقال الرافعي في هذين القولين : ان المكروه أن يفرط في المد وفي اشـباع الحركات حتى

---

(١) التحقيق: اعطاء كل حرف حقه على مقتضى ما قرره العلماء مع ترتيل وتوأده • والحدر : ادراج القراءة وسرعتها مع مراعاة شروط الاداء الصحيحـة • والتدوير : التوسط بين التحقيق والحدر : ا هـ •

(٢) اعجاز القرآن للرافعي •

يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الادغام ، فان لم ينته الى هذا الحد فلا كراهة • وقال الامام النووي : ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والاصغاء اليه •

ويروى الرحالة ابن جبير انه رأى القراء بين أيدي الوعاظ يأتون بألحان تكسب الجماد طرباً وأريحية كأنها المزامير الداودية •

وذكر ابن الأثير وابن كثير في تاريخهما ان الركب العراقي قد خرج الى الحج ، فاعترضه الاصيغر المنتفقي القرمطي •

وحصره بالبطانية وعزم على أخذه ، فبعثوا اليه بشابين قارئين كانا في الركب يقال لهما أبو الحسن الرفاء وأبو عبدالله الزجاجي ، وكانا من أحسن الناس قراءة ليكلما الاصيغر في شيء يأخذه من الحجيج ويطلق سراحهم ليدركوا الحج فلما جلسا بين يدي الاصيغر قرآ جميعاً عشراً من القرآن بأصوات مطربة مطبوعة فأدهشه ذلك وأعجبه جدا وقال لهما ـ كيف عيشكما ببغداد ـ ؟

فقالا : بخير لايزال الناس يكرموننا ويبعثون الينا بالذهب والفضة والتحف فقال لهما ـ هل أطلق لكما أحد منهم بألف ألف دينار في يوم واحد ؟ فقالا ـ لا ولا ألف درهم في يوم واحد ، قال : اني اطلق لكما ألف الف دينار فيهذه اللحظة ، اطلق لكما الحجيج كله ، ولو لاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار •

وذهب الناس الى الحج ، ولما انتهت مناسك الحج عزم أمير الحج العراقي على العود سريعا الى بغداد ، وان لا يسير الى المدينة المنورة خوفا من الاعراب فشق ذلك على الناس ، فوقف هذان القارئان على جادة الطريق التي منها يعدل الى المدينة المنورة وقرآ (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) • الآيات فضج الناس بالبكاء وامالت النوق أعناقها نحوهما ، فمال الناس بأجمعهم والامير معهم الى المدينة المنورة فزاروا وعادوا سالمين الى بلادهم •

وان المحرم ـ كما قيل ـ لابد ان يشتمل على مفسدة راجحة او خالصة ٠ وقراءة التطريب والالحان لا تتضمن شيئا من ذلك فأنها لا تخرج الكلام عن وضعه ، ولا تحول بين السامع وبين فهمه ٠

ويجب أن تراعى في القراءة قوانين التجويد ، فأن حسن الصوت يزداد حسنا بذلك وان خرج عنها أثر ذلك في حسنه ٠

كما يجب أن يراعي القارىء أولا الاداء وان لايخل به ، ومن راعى الانغام دون الأداء فقد أثم ومن راعاهما معاً فلاشك أنه من المصلحين ٠

وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من اندفاع قراء القرآن بتقليد أصحاب الانغام في التمطيط والترعيد واطلاق الصوت حسب امتداد النفس فقال عليه الصلاة والسلام اقرؤا القرآن بلحون العرب ، وأياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فانه سيجيء أقوام بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ٠

وقد قيل : ان أهل الحجاز قرؤا على النصب (أي غناء أرق من الحداء) ٠

وأهل الشام قرؤا على قراءة الرهبان ٠

وأهل الكوفة قرؤا على قراءة النبط ٠

وأهل البصرة قرؤا على الخسرواني (أي قراءة فارس) ٠

ثم يجب على تالي القرآن مراعاة موارد الآيات وتلاوتها حسب أغراضها ، اذ منها[1] الاعلام والتنبيه والامر والنهي ، والوعد والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، والاحتجاج على المخالفين ، والرد على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرهبة ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، ومدح الابرار ، وذم الفجار ٠٠ الخ ، وليس طبيعيا ولا سديدا أن تقرأ موضوعات هذه الاغراض كلها بأسلوب واحد ٠

---

(١) المصحف المرتل ٠

واذا كان الترنم الباكي مقبولا مثلا في آيات التوبة والاستغفار والاسترحام فهل هو مقبول في آيات التحريض على القتال ، اذ المقبول طبيعيا هو الترنم الذي يوائم المعنى ويظهره والذي لا يعجزه الاخذ بناصية الفهم ، والذي يجعل للمقريء مستقراً في ذهن السامع وقلبه ، فضلا عن ان يحمله الى المستقر حملا .

واللين غير الشدة ، والامر والنهي غير الدعاء والالتماس ، والخبر غير الاستفهام والاقرار غير التعجب ، والوعد غير الوعيد . وهكذا .

ولقد جاء اسلوب القرآن الكريم مخالفا كل المخالفة لاساليب العرب في شعرها ونثرها وتركب من آيات تنتهي في الكثير الغالب بحرف صحيح يسبقه حرف علة ساكن ، كقوله تعالى (ن . والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون) (الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان) . (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) ففي هذه الامثلة نجد الايات منتهية بحرف صحيح يسبقه واو في الطائفة الاولى ، والف في الثانية ، وياء في الثالثة ، ونجد لكل نوع من ثلاثتها صوتاً يحلو في السمع وترتاح له النفس ، وتتقبله الروح قبولا حسنا .

ويستعمل القرآن في كل موطن من المواطن طائفة خاصة من الحروف المتحدة المخرج . كاستعمال حروف الاطباق والقلقلة افي سورة (ق) فتجد فيها حروف القاف والطاء والجيم مترددة من اول السورة الى آخرها كأنها تصنع مع حروف أخرى ثوبا منسوجا من فتلات خاصة قال تعالى (ق. والقرآن المجيد . بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) الخ .

ومن دلك أيضا تردد الحرف الواحد مرات كثيرة في الآية الواحدة حتى يلائم نسجها ولا تنبوا كلماتها وحتى لايقع في الكلام تنافر ، كتردد حرف اللام (٢٢) مرة في آية الكرسي ، وتردد الهاء في نفس الآية نحو (١٣) مرة وكتردد حرف الراء في سورة القمر ، والنون في سورة الرحمن وهكذا ، فاذا خرجت الحروف المتحدة الاجناس من طبعها متوافقة متحدة الاقدار في مقاييس

حركاتها ومداتها بحيث تكون أجناس الحروف التي لها التفخيم مفخمة والتي لها الهمس مهموسة والتي لها الرخاوة رخوة ، وهكذا يكون مقدار النطق بالحرف الذى لم يجاوره حرف مد نصف الف ومقدار النطق بالحروف التي جاورتها حروف المد ولم تتصل بها الهمزة ولم يليها السكون حركتين ومقدار الممدود التي زادت عن طبيعتها بسبب الهمز والسكون ازيد من حركتين فتمد الى الف ونصف والى الفين ونصف والى ثلاث الفات • وطول المدات وقصرها يختلف بأختلاف وجوه المد وأنواعه وأقصى المد ثلاث الفات ، والقراءة بالمرانة •

ولا شك ان القراء تختلف قراءتهم بأختلاف أصواتهم ، وتتفاوت تلاوتهم بتفاوتهم في حسن الاداء والمهارة بالقراءة وجودة التلاوة وقوة الحفظ فبعضهم اندى من بعض صوتاً ، وأمد قراءة ، وأجود ترتيلا وازين وأعلى في السمع جرسا ونغمة ، فبعضهم يقصر في كل ذلك أو في بعضه عن مرتبة الحذاق المهرة في القراءة والميزان الذي وزن به أقدار القراء وتقاس به درجة التفاضل فيما بينهم ينحصر فيما اوتي القارىء من قوة في نبرات الصوت وجهارته وامتداد النفس مع جودة النطق بالحروف واخراجها من مخارجها الحقيقية واعطائها ما تستحقه من صفات وهيئات فنية يعرفها الحذاق بفن التجويد ويضاف الى ذلك ما أوتيه القارىء من مزية التعبير عن المعنى تعبيرا بالوقف عند النهايات ، والابتداء حيث تحسن البدايات مع تكيف الصوت بكيفيات لطيفة تشعر السامع بالمعنى وتقذفه في نفسه وتصله بحلاوة الصوت من صماخ الاذن الى اشغاف القلب بشرط ان لا تخرج به تلك الكيفيات الصوتية عن القواعد التجويدية الى محض الكيفيات الغنائية والتمثيلية[١] •

وليس يخفى ان مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسى وان هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدا أو غنة لينا أو شدة ، وبما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ثم هو يجعل الصوت الى الايجاز والاجتماع والاطناب والبسط

---

(١) الاســـلام •

بمقدار ما يكسبه من الحدة والاهتزاز وبعد المدى ونحوها من ما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى ٠

فلو اعتبرنا ذلك في لغة القرآن على الاداء الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ اليه اللغات كلها في هذا الشعور واستثارته من أعماق النفس ، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي ، حتى ان القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والالحاد ومن لا يعرفون لله اية في الافاق ولا في انفسهم لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه ، لان فيهم طبيعة انسانيه ، ولان تتابع الاصوات على نسب معينه بين مخارج الاحرف المختلفة وبلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الانسان فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان ، وعلى هذا وحده يؤول الاثر الوارد في ان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا لانه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصا منه اذا لم تجتمع أسباب الاداء في أصوات الحروف ومخارجها ، وانما التمام الجامع لهذه الاسباب صفاء الصوت وتنوع طبقته واستقامة وزنه على كل حرف[1] ٠

آداب التلاوة والاستماع

ان على التالي للقرآن الكريم وجائب كبيرة يلزمه مراعاتها والاخذ بها والتأدب بادابها لانه بتلاوته لكلام الله سبحانه وتعالى يناجي مولاه الذي انعم عليه بنعمة الايمان واجابة الدعوة الحقة كما انه يتلقى أوامر الله ونواهيه ووعيده ، لذلك ذكر العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى ادابا كثيرة يلزم مراعاتها عند التلاوة ، ونجتزىء بذكر جزء منها :

يستحب الوضوء لقراءة القرآن حفظاً لانه من أفضل الاذكار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله تعالى الا على طهر ٠

ويفترض عليه الوضوء اذا كانت التلاوة بالمصحف لقوله عليه الصلاة والسلام في كتاب عمرو بن حزم : لا يمس القرآن الا طاهر ٠

---

(١) اعجاز القرآن للرافعي ٠

وان يستاك أو يطهر فمه بمواد أخرى تعظيما لكتاب الله لقوله صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم فانها مجاري القرآن .

وان يجلس القاريء مستقبلا القبلة متخشعاً مطرقا رأسه موقرا لكتاب الله .

وان يستوى قاعدا ان كان في غير الصلاة ، أن لا يكون متكئا لان في ذلك عدم التوقير والاحترام .

وان تكون القراءة في محل نظيف ، بثياب نظيفة - لانه يناجي بتلاوته ربه ، طالبا رحمته وعفوه .

وان لا يقرأ القرآن الا في الاماكن المحترمة فلا يجوز له التلاوة في الاسواق ولا في مواطن اللغط . أو في الحمام ، أو في المواضع القذرة .

ويحسن التعوذ قبل القراءة لكي يكون السامع على علم من ذلك فينصت من أول القراءة كما انه يستطيع سماع القراءة كلها واذا اخفى القراءة ولم يعلم السامع يفوته شيء من المقروء .

ويحسن الترتيل في قراءة القرآن ، وكذا التأني في القراءة ، ويكره الاسراع فيها .

قال في شرح المهذب : وأتفقوا على كراهة الافراط في الاسراع ، كما أتفقوا على استحباب الترتيل للتدبر لانه أقرب الى الاجلال والتوقير ، وأشد تأثيرا في القلوب ، وقد قال عليه الصلاة والسلام . ما أذن الله لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به[1] وقال لله أشد اذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته [2] .. وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن[3] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى والحاكم عن ابى هريرة .

(٢-٣) رواه البخارى وابو داود واحمد وابن حبان .

وقد نعتت أم سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً • وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما وأتدبرهما أحب الي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة لأن الترتيل والتوأدة أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال •

وان يؤدي القارىء لكل حرف حقه من الاداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماما وأن يؤدي للايات حقها ، فاذا قرأ تهديدا لفظ به لفظ التهديد ، او تعظيما لفظ به على التعظيم وأن تكون القراءة بالتدبر والتفهم اذ بذلك تنشرح الصدور وتتأثر القلوب •

وأن تكون القراءة بالتفخيم لقوله عليه الصلاة والسلام : نزل القرآن بالتفخيم •

وأن يقرأ على قراءة الرجال لا أن يغير صوته بحيث يكون كصوت النساء•

قال الأمام الغزالي : تلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثير والانزجار والائتمار ، فاللسان يرتل ، والعقل ينزجر والقلب يتعظ •

ويجب على القارىء أن يخلص في قراءته وأن يريد بها وجه الله وأن لا يقصد بتلاوته توصلا الى شيء سوى ذلك •

ويكره قطع القرآن لمكالمة أحد • لأن كلام الله ينبغي أن لا يؤثر عليه كلام غيره لأن فيه استخفافا بالقرآن • ولأن اتباع القرآن بعضه بعضا بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الاتباع ويخفي عند التقطيع •

كما يكره الضحك والعبث والنظر الى ما يلهي • قال مجاهد اذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فامسك عن القرآن تعظيما حتى يذهب تثاؤبك •

أما السامع لتلاوة القرآن فيجب عليه أن يقبل عليه اقبال الخاشع وان يستمع اليه استماع الخائف مع تدبر معانيه وتفهم حكمه وأسراره وليستشعر الأدب مع الله عند سماع كلامه مع الوجل والخشية قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) • وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وأن ينصت لسماعه ولا يتكلم بشيء الى أن يفرغ التالي من تلاوته لقوله تعالى (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) •

ويجب على كل مسلم أن يحرص على استماع القرآن عند قراءته • كما يحرص على تلاوته وأن يتأدب في مجلس التلاوة •

وذكر العلماء انه يستحب لقارىء القرآن اذا انتهت قراءته أن يصدق الله ربه ويشهد بالبلاغ لرسول الله ويشهد على انه حق فيقول • صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين •

ويحسن أن يتعاهد القرآن ففي الصحيحين • تعاهدوا القرآن • فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفصيا من قلوب الرجال من الابل من عقلها • وروى عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى يوم القيامة أجذم • أي مقطوع الحجة • وروى عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من خشى أن ينسى القرآن فليقل : اللهم نور بكتابك بصري واطلق به لساني واشرح به صدري واستعمل به جسدي بحولك وقوتك • فانه لا حول ولا قوة الا بك •

ما يجب على المتعلم مراعاتـــه

ذكر العلماء آدابا يجب على المتعلم مراعاتها مع شيخه أثناء دراسته نلخصها من نهاية القول المفيد ٠

يجب على المتعلم أن يخلص نيته ثم يجد في قطع ما يقـدر عليه من العلائق والعوائق الشاغلة عن تمام مراده وأن لا يستنكف عن احد وجد عنده فائدة ٠

ويجب عليه أن ينظر شيخه بعين الاحترام ويعتقد كمال اهليته ورجحانه على نظرائه فهو أقرب الى انتفاعه ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه ٠ قال الامام الشافعي : كنت أتصفح الورق بين يدي مالك رحمه الله تصفحا رقيقا هيبة لـه لئلا يسمع وقعها ٠ قال الربيع صاحب الشـافعي مـا اجترأت أن أشـرب المـاء والشافعي ينظر الي هيبة له ٠ وان وقع من شيخه نقص فليجعل النقص من نفسه بأنه لم يفهم قول الشيخ وكان بعض المتعلمين اذا ذهب الى شيخه يتصدق بشيء ويقول اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني كما يجب على الطالب تعظيم معلمه واحترامه والقيام بمصالحه واعتقاد صلاحه والتأدب في حقه كما يتأدب في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم لو كان موجودا لأنه ورثه في تعلم كتاب الله وتعليمه ٠كما يجب عليه أن يتأدب مع معلميه الآخرين كما يتأدب مع والده وليتأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ فان ذلك تأدب مع الشيخ وصيانة لمجلسه ولا يرفع صوته رفعا بليغا ولا يضحك ولا يكثر الكلام٠ ولا يلتفت يمينا ولا شمالا بل يكون مقبلا على الشيخ مصغيا الى كلامه ٠

ويجوز القيام لشيخه واستاذه وهو يقرأ أو لمن فيـــه فضيلة من علم أو صلاح أو سن أو حرمة بولاية أو غير ذلك وقال النووي ان قيام القارىء في هذه الاحوال وغيرها مستحب لكن بشرط أن يكون القيام على سبيل الاكرام والاحترام به ٠



التجويد لغة : هو التحسين . يقال هذا شيء جيد أي حسن .

واصطلاحا : هو تلاوة القرآن الكريم على حسب ما أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باعطاء كل حرف حقه ومستحقه .

وموضوعه : الكلمات القرآنية من حيث اعطاء الحروف حقها ومستحقها .

وثمرته : صون اللسان عن اللحن في لفظ القرآن .

وفضله : انه من أشرف العلوم لتعلقه بكلام الله تعالى .

ونسبته : انه من العلوم الشرعية ، فان أحكامه جاء بها الشرع .

وواضعه : الأئمة القراء وأول من دون فيه قيل هو أبو مزاحم موسى بن عبيدالله المقرىء الخاقاني[1] .

واسمه : علم التجويد ، وعلم الترتيل وقواعد التلاوة .

واستمداده : من كيفية قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكمه : الوجوب العيني على قارىء القرآن من ذكر وانثى من جهة العمل به . وأما من جهة العلم به ففرض كفاية .

ومسائله : قضاياه التي تطلب نسبة محمولاتها الى موضوعاتها . نحو كل نون ساكنة يجب اظهارها اذا وقع بعدها حرف من حروف الحلق .

---

(١) ابو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحى الخاقاني البغدادي الامام المقرىء المحدث البصير بالعربية وهو أول من صنف التجويد كما قال ابن الجزرى توفي سنة ٣٢٥هـ .

وقد ثبتت فرضية تعلم التجويد بالكتاب والسنة واجماع الأمة • أما الكتاب فقول الله تبارك وتعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال البيضاوي معناه جوده تجويدا وقيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف • وأما السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه وذلك اذا أخل بمبانيه أو معانيه وترتيله وتلاوته حق تلاوته وقوله صلوات الله وسلامه عليه اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق والكبائر وأما الاجماع فهو اجماع الأمة على تجويد القرآن من زمن النبي الى زماننا ولم يختلف أحد في ذلك قال ابن الجزري التجويد فرض على كل مكلف ومن لم يجود القرآن فهو آثم •

تجويد القرآن

ان تجويد القرآن الكريم يتوقف على أربعة أمور :

أحدها : معرفة مخارج الحروف •

وثانيها : معرفة صفات الحروف •

وثالثها : معرفة ما يتجدد للحروف بسبب التركيب من الاحكام •

ورابعها : رياضة اللسان وكثرة التكرار •

مراتب القراءة

تنقسم مراتب القراءة الى أربعة أقسام :

تحقيق ، وحدر ، وتدوير ، وترتيل •

فأما التحقيق : فهو مصدر من حققت الشيء تحقيقا اذا بلغت يقينه •

ومعناه المبالغة في الاتيان بالشيء على حقيقته من غير زيادة فيه ولا نقص عنه •

واصطلاحا : هو عبارة عن أعطاء الحروف حقها من اشباع المد وتحقيق الهمز واتمام الحركات ، وتوفية الغنات ،وتفكيك الحروف وهو بيانها • واخراج بعضها عن بعض بالسكت والترسل والتوأدة ، والوقف على الوقوف ، والاتيان بالاظهار والادغام على وجهه ، وهو مثل الترتيل الا أنه أكثر منه اطمئناناً •

أما الحدر : فهو مصدر من حدر بالفتح يحدر بالضم اذا أسرع فهو من الحدور الذي هو الهبوط •

واصطلاحا : هو عبـــارة عن ادراج القراءة وسرعتها مع مراعـاة أحكام التجويد من اظهار وادغام ، وقصر وحد ، ووقف ووصل ، وغير ذلك ، وأن لا تخرج القارىء عن طباع العرب وعما تكلمت به الفصحاء •

وأما التدوير : فهو عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر •

وأما الترتيل : فهو مصدر من رتل فلان كلامه اذا أحسن تأليفه •

واصطلاحا : هو قراءة القرآن الكريم على مكث وتفهم من غير عجلة وهو الذي نزل به القرآن (ورتل القرآن ترتيلا) • ومرتبة الترتيل أفضل المراتب •

وذكر العلماء ان الترتيل والتدوير مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها لأن المقصود من القرآن فهمه والتفقه فيه والعمل به •

حقيقة التجـــويد

أما حقيقة التجويد : فهو اعطاء كل حرف حقه ومستحقه •

فحق الحروف : هو صفاتها الذاتية اللازمة لها ، كالجهر والشدة والاستعلاء فانها لازمة لذوات بعض الحروف غير منفكة عنها ، فان انفكت يكون الانفكاك لحنا جليا في بعض الصفات ولحنا خفيا في بعض •

ومستحق الحروف : ما ينشأ عن تلك الصفات الذاتية اللازمة كالتفخيم فانه ناشىء عن كل من الاستعلاء والتكرير ، وكالترقيق ، فانه ناشيء عن الاستفال،

وذلك ان التفخيم الناشىء عن الاستعلاء والتكرير يكون في الحروف حال سكونه وتحريكه بالفتح والضم فقط •

وأما تحريكه بالكسر فلا يوجد فيه التفخيم بل ضده وهو الترقيق انه الكسر يستدعي انخفاض اللسان ، والتفخيم يستدعي ارتفاعه •

الاستعاذة والبسملة

الاستعاذة : قبل الشروع بتلاوة القرآن الكريم سنة مؤكدة ، سواء أكانت التلاوة من أول السورة أو من أثنائها •

ويجهر بالاستعاذة اذا كان بحضور القارىء من يستمع ، فان لم يكن ثمة أحد فللقارىء الخيار •

أما البسملة : فلا بد منها لقارىء القرآن الكريم في كل أول سورة من سور القرآن الا سورة التوبة لعدم أمر الرسول بكتابتها في أولها لأن البسملة أمان ، وسورة التوبة نفت الأمان للمشركين لنبذهم العهود •

هذا في أول السورة أما في أجزاء السورة فالقارىء مخير ما عدا سورة التوبة عند الجعبري ، أما غيره فيجوز قراءتها في أجزاء هذه السورة كغيرها من السور •

وقد ذكر العلماء ان للمبتدىء بالاستعاذة أربع حالات :

١ ـ قطع الجميع •

٢ ـ الوقوف على التعوذ ووصل البسملة بأول القراءة •

٣ ـ وصل التعوذ بالبسملة ووصلها بأول القراءة وهو المسمى وصل الجميع •

٤ ـ وصل التعوذ بالبسملة مع الوقف عليها ، والابتداء بأول القراءة •

ثم ذكروا للبسملة حالات اذا وقعت بين سورتين :

١ ـ الوقوف على آخر السورة وعلى البسملة •

٢ ـ الوقوف على آخر السورة ووصل البسملة بأول السورة الثانية •

٣ ـ وصل الجميع •

٤ ـ وصل البسملة بآخر السورة والوقف عليها ، وهذا لا يجوز • لأن البسملة لأوائل السور لا لأواخرها •

فأوجه البسملة الجائزة ثلاثة فقط ، دون الوجه الرابع •

المـد وسببه وأنواعـه

المد لغة : الزيادة ، قال تعالى (ويمددكم بأموال) أي يزدكم •

واصطلاحا : اطالة الصوت بحرف من حروف المد الثلاثة وهي : الألف والواو والياء •

فالألف : لا تكون الا لينة ولا تكون الا ساكنة وما قبلها مفتوح •

أما الواو : فلا تكون الا ساكنة وما قبلها مضموم •

والياء : لا تكون الا ساكنة وما قبلها مكسور •

وسميت هذه حروف مد لامتداد الصوت بها في لين وعدم كلفة •

كما انها تسمى جوفية لخروجها من الجوف •

وتسمى هوائية لقيامها بهواء الفم •

وتسمى أيضا خفية لخفاء النطق بهـــا فهي أخفى الحروف وأخفاهن : الألف ثم الياء ثم الواو •

وانما خصت هذه الحروف بالمد ، لأنها أنفاس قائمة بهواء الفم وحركاتها في غيرها ، فلذا قبلت الزيادة بخلاف غيرها • فان لها حيزا محققا وحركاتهـا في نفسها فلم تقبل الزيادة •

وان الألف لا تكون الا حرف مد لسكونها وانفتاح ما قبلها دائما •

وأما الواو والياء : فتارة يكونان حرفي مد ولـين اذا جانسهما ما قبلهما ، وتارة يكونان حرفي لين اذا انفتح ما قبلهما وتارة يكونان حرفي علة اذا تحركتا •

وان المد لا ينفرد عن اللين ، فكل حرف مد حرف لين ولا عكس •

وقد نقل ان الأصل في هذا الباب هو ما ورد عن عبدالله بن مسعود الذي يقول فيه رسول الله : من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد • وكان يقول :

أخذت من في رسول الله سبعين سورة •

لقد كان ابن مسعود يقرىء رجلا ، فقرأ الرجل : (انما الصدقات للفقرا والمساكين) مرسلة أي مقصورة • فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : وكيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن ، فقال أقرأنيها (انما الصدقات للفقراء والمساكين) فمدها •

أقسام المد

ينقسم المد الى قسمين :

١ ـ أصلي

٢ ـ فرعي

المد الأصلي : ويسمى المد الطبيعي والمد الذاتي : هو الذي لا تقوم ذات الحرف الا به ، ولا يتوقف على سبب من همزة أو سكون ، بل يكفى فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة •

وسمي طبيعيا : لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيد فيه ولا ينقص عن مقداره •

وسمي أصليا : لأنه أصل للمد الفرعي •

وسمي أيضا ذاتيا : لأن ذات الحرف لا توجد الا به ، ألا ترى ان حرف المد لا يوجد على اللسان الا باطالة الصوت بمقدار حركتين ، فان نقص عن ذلك ذهب فلذا وجب مده بمقدار ذلك حتى تتحقق ذاته ، ومقداره ألف

والألف حركتان ، والحركة مقدار قبض الاصبع أو بسطه ، مثل : مصطفى • يدعو • القاضي •

المد الفرعي : هو المد الزائد على المد الطبيعي بسبب همزة أو سكون يتلوان حرف المد •

فالهمزة : عبارة عن الألف المتحركة ، سواء كانت الحركة ضمة أو فتحة أو كسرة •

والسكون : هو الحرف الذي ليست له حركة وهو على نوعين :

سكون لازم ، وسكون عارض •

السكون اللازم : هو السكون الثابت وقفا ووصلا ، مثل: الحاقة، تأمروني•

السكون العارض : هو السكون الثابت وقفا والساقط وصلا • مثل : نستعين ، تعلمون ، تكذبان •

الوقف : هو قطع الكلمة عن ما بعدها بسكتة طويلة مع التنفس •

المـد الفرعـي

ينقسم المد الفرعي بسبب المد الى قسمين :

١ ـ ما يكون مده بسبب الهمزة وهو : المتصل ، والمنفصل ، والبدل •

لأن الهمزان كان سابقا على حرف المد فهو البدل نحو (آمنوا) • وان كان لاحقا له ، فان كان معه في كلمة فهو المتصل نحو : (جاء) •

وان كان في كلمة اخرى فهو المنفصل نحو : (يا أيها) •

٢ ـ ما يكون مده بسبب السكون ، وهو : المد العارض ، والمد اللازم بأنواعه ولا يكون السكون الا لاحقا فان كان ثابتا وصلا ووقفا فهو اللازم نحو : (الحاقة) • وان كان ثابتا وقفا لا وصلا فهو العارض نحو : (نستعين) • وللمد الفرعي شروط وأحكام •

أما شروطه فهي ثلاثة ، ضم ما قبل الواو ، وكسر ما قبل الياء مع سكونهما ، والالف لا تكون الا ساكنة ولا يكون ما قبلها الا مفتوحاً ، ولا تكون الأحرف مد ولين بخلاف (الواو والياء ، فتارة يكونان حرفي مد ولين كما تقدم ، وتارة يكونان حرفي لين فقط ، وذلك اذا سكنا وانفتح ما قبلهما كميت ، وخوف •

وأما أحكامه : فثلاثة : الوجوب ، والجواز ، واللزوم •

فالواجب هو المد المتصل ، والجائز هو المد المنفصل والبدل والعارض واللازم هو المد اللازم •

المد المتصل

المد المتصل : هو الذي يجتمع فيه حرف المد وسببه في كلمة واحدة • ومده واجب لاتفاق جميع القراء على مده زيادة على المد الطبيعي وعدم قصره ولا خلاف بينهم في ذلك •

وقد اختلف في مقدار مده ، فحفص يمده أربع حركات أو خمسا في الوصل وكل حركتين تساوي ألفا كما قلنا من قبل ، وهذا ما كان يقول به عاصم بن بهدلة شيخ حفص وهو ألفان ونصف •

أما ورش عثمان بن سعيد ، وحمزة بن حبيب فيمدانه ثلاثة ألفات ، واما عبدالله بن عامر ، وعلي بن حمزة الكسائي فكانا يمدانه ألفين ، وقال عبدالله بن كثير يمد ألفا ونصف الألف ، وتابعه على ذلك أبو عمرو زياد بن العلاء ، وعيسى قالون • وذلك نحو : جاء ، وسوء ، وسيىء •

ووجه المد كما قال العلماء : أن حرف المد ضعيف خفي ، والهمز قوي صعب فزيد في المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوي •

وقيل : ليتمكن من النطق بالهمزة على حقها من شدتها وجهرها •

المــد المنفصل

المد المنفصل : هو أن يكون حرف المد في كلمة وسببه في كلمة اخرى •

وحكمه : الجواز لاختلاف القراء في مقدار مده •

فورش وحمزة وعاصم وابن عامر والكسائي يمدونه حسب مـا ورد عنهم في المد المتصل وأما ابن كثير والسوسي فعندهم كالمد الطبيعي أما قالون والدوري فقد أجازا الوجهين •

وانما كان هذا المد جائزا لاختلاف القراء فيه كما ذكرنا •

وقيل : انما سمي هذا المد جـائزا لجواز زوال سببه بأن يوقف عـلى الكلمة الاولى منه فيكون معنى الجـواز راجعا الى السبب • مثـل انـا اعطيناك يا أيها الناس •

وأما وجه المد المنفصل : فان حروف المد خفية والهمز بعيد المخرج صعب اللفظ لانه يخرج من أقصى الحلق ، فاذا لاصق حرفا خفيا خيف عليه أن يزداد خفاء فقوي بالمد احتياطا لبيانه وظهوره •

واذا اجتمع مدان متصلان مثل : (أنزل من السماء ماء) أو مدان منفصلان مثل : (والذين يؤمنون بما أنزل اليـك وما أنزل من قبلك) • فـلا يجوز للقارىء أن يمد أحدهما دون الآخر بل يجب التسوية بينهما •

المــد البــدل

المد البدل : هو الذي أبدلت همزته الثانية ألفا • مثل (آمنوا)فان أصله (أأمنوا) أبدلت الهمزة الثانية ألفا من جنس حركة ما قبلها •

وسمي هذا مد بدل : لأن المد بدل عن الهمزة الساكنة •

وحكمة : جواز مده مقدار حركتين : وجواز مده أكثر من ذلك عنـد ورش وعند غيره القصر فقط •

وقد علل من قال بقصر مد البدل : بأن علة المـــد في كل من المنفصل والمتصل للتمكن من النطق بالهمز • والهمز في البدل متقدم على حرف المد ، فليس هناك ما يدعو للمد • وكذا قصر لضعف سببه بتقدمـــه لان الهمزة لـو تأخرت صرف القارىء همته اليها لقوتها وصعوبتها بخلاف ما اذا تقدمت •

اما من قال بمده : فانه نظر الى وجود حرف المد والهمزة في كلمـة بصرف النظر عن تقدمه أو تأخره •

المـد العـارض

المد العارض : هو الذي يعرض لآخر الكلمة بسبب سكون عارض وذلك حالة الوقف • نحو : نستعين ، تعلمون ، مدهامتان •

وقد سمي عارضا : لعروض المد بعروض السكون •

وقد اختلف في مقدار مده فبعضهم يمده ألفا • وبعضهم يمده ألفـين أو ثلاثاً ويسمى الأول قصرا والثاني توسطا والثالث طولا •

ومده جائز لاختلاف القراء في مقداره على الأوجه التالية :

١ ــ اذا كان آخر الكلمة مفتوحا يجوز فيه ثلاثة أوجه ، الطول والتوسط والقصر مثل : متقين ، تعلمون ، يوقنون •

٢ ــ اذا كان آخر الكلمة مكسورا يجوز فيه أربعة أوجه :

الطول والتوسط والقصر والروم مثل : مدهامتان • جنات النعيم •

٣ ــ اذا كان آخر الكلمة مضموما يجوز فيه سبعة أوجه : الطول والتوسط والقصر والطول مع الاشمام والتوسط مع الاشمام والقصر مع الاشمام والروم • مثل : نستعين ، عليم ، مبين •

ووجه قصره عدم الاعتداد بالسكون لعروضه ، وتوسطه لانحطاط رتبتـه عن المد اللازم ، ومده قياسا على المد اللازم بجامع ان كل حرف مد بعده سكون•

والقصر : لا يتحقق بدون مقدار ألف •

والتوسط : لا يتحقق بدون مقدار ألفين ٠

والطول : لا يتحقق بدون مقدار ثلاث آلفات ٠

وهذا كله في غير المهموز ، أما ان كان مهموزاً وهو منصوب نحو جاء ففيه ثلاثة أوجه المد أربع حركات وخمس حركات ، وست حركات مع السكون المحض ٠

وان كان مرفوعا نحو يشاء والسفهاء ففيه ثمانية أوجه ، أربع حركات وخمس وست مع الاشمام في كل منها ، والروم على مد أربع أو خمس حركات ٠

وان كان مجرورا نحو من السماء ففيه خمسة أوجه ، أربع حركات أو خمس أو ست حركات والروم على مد أربع أو خمس حركات ٠

الروم : هو الاتيان ببعض الحركات بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد ويكون في المضموم والمكسور والمرفوع والمجرور ٠

والاشمام : هو انضمام الشفتين عند السكون وتدع بينهما انفراجا ليخرج النفس بغير صوت وذلك اشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة ولا يكون الا في المرفوع والمضموم ٠

ولا يدخل الروم والاشمام في المنصوب والمفتوح ولا في هاء التأنيث الموقوف عليها بالهاء نحو : الجنة ، والقبلة ، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء ٠ وقد فصل بحث الروم والاشمام في خاتمة هذا الكتاب ٠

مد اللين

مد اللين : لغة ضد الخشونة ٠

واصطلاحها : هو اخراج الحرف في لين وعدم كلفة على اللسان ، وله حرفان الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما ٠ ويمدان حالة الوقف لا حالة الوصل وقد توسع في تفصيل مد اللين في صفات الحروف ٠

المـد اللازم

المد اللازم : هو أن يكون في الكلمة حـرف مـد وسببه ساكنا لازما مثل الحاقة تأمروني • ويكون ذلك وقفا ووصلا •

وكما يسمى لازما يسمى واجبا بحسب اللغة ، لانه لا فرق فيها بين اللازم والواجب فأن معناهما لغة مالا يجوز تركه •

وأما بحسب لغة الاصطلاح : فأن اللازم ما لزم مده ثلاثة الفات من غـير زيادة ولا نقص •

والواجب : ما وجب مده زيادة على مقدار الطبيعي ولو بحركة • وبعبارة أخرى الواجب هو الذي أتفقوا على وجوبه ومقداره •

وحكمه : لزوم مده ست حركات من غير زيادة ولا نقص عنـد جميع القـــراء •

وانما وجب مده : لان حرف المد ساكن ووليه ساكن فأجتلب المد ليكون في قوة الحركة في الفصل بين الساكنين وينقسم المد اللازم الى قسمين : كلمي ، وحرفي •

وينقسم كل منهما الى قسمين : مثقل ، ومخفف •

١ ـ اللازم الكلمي المثقل : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف ساكن سكونـا أصليا مدغم وجوبا : الحاقة ، الطامة ، أتحاجوني •

وسمي لازما : لالتزام مده مقدارا واحدا من غير تفاوت فيه وهو ثـلاث الفات •

وقيل : سمى لازما للزوم سببه في الحالين ، أي حالي الوصل والوقف •

وسمى كلميا : لوجود حرف المد مع الحرف المدغم في كلمة واحـدة •

وسمي مثقلا : لوجود التشديد بعد حرف المد ، اذ الحرف المشدد أثقل مع كونه مدغمـا •

٢ ـ اللازم الكلمي المخفف : هو ان يأتي بعد حرف المد حرف ساكن في الحالين من غير ادغام • نحو : الآن •

وسمي هذا كلميا : لوجود حرف المد الساكن في كلمة واحدة •

وسمي مخففا : لأن الحرف الساكن الموجود بعد حرف المد أخف من المدغم •

٣ ـ اللازم الحرفي المثقل : هو أن يكون الحرف الموجود في أوائل السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد والثالث ساكن مدغم نحو طسم ، ألم وسمي حرفيا لأجتماع المد مع السكون في حرف ، ومثقلا لكونه مدغما • وحروفه ثمانية هي : (س ص ع ق ك ل م ن) يجمعها نقص عسلكم •

٤ ـ اللازم الحرفي المخفف : هو أن يكون الحرف هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف ساكن غير مدغم نحو : (ص ، ن ، ق) • واللازم الحرفي لا يكون الا في أوائل السور •

ومقدار مد اللازم الحرفي بشقيه المثقل والمخفف ست حركات كالمد اللازم الكلمي ما عدا العين ففيها التوسط والمد لانها حرف لين لا حرف مد •

وتوجد خمسة حروف مجموعة في لفظ (حي طهر) فانها تمد مدا طبيعيا مثل :

حم ، يسن ، طه ، الر ، كهيعيص •

وسمي كل من المثقل والمخفف لازما حرفيا لالتزام القراء مده حسبما ذكرنا •

ثم ان القصر لا يتحقق بدون مقدار ألف والتوسط لا يتحقق بدون مقدار ألفين والطول لا يتحقق بدون مقدار ثلاثة ألفات •

(تنبيه) : اذا اجتمع مدان لازمان مثقلان نحو : أتحاجوني ، أو مثقل ومخفف نحو آلم أو مخففان نحو : آلآن (موضعي

يونس ، ففي تلك الحالات لا يجوز مد أحدهما دون الآخر بل تجب التسويه •

واذا كان الساكن في كلمة وحرف المد في كلمة أخرى حذف حرف المد في الوصل نحو : وقالوا اتخذ ، والمقيمي الصلاة •

واذا اجتمع سببان من أسباب المد قوي وضعيف الغي الضعيف وعمل بالقوي نحو : ولا آمين البيت الحرام • ففيه بدل ولازم فيلغى البدل ويعمل باللازم • ونحو : وجاءوا أباهم ، بدل ومنفصل ، الغي البدل وعمل بالمنفصل •

وأقوى المدود : اللازم فالمتصل ، فالعارض للسكون فالمنفصل فالبدل •

قال العلامة علم الدين السخاوي مشيرا الى المدود وقواعدها :

لا تحسب التجويد مدا مفرطا	أو مدّ مالا مدّ فيه لوان
أو أن تشدد بعد مد همزة	أو أن تلوك الحرف كالنشوان
أو أن تفوه بهمزة متهوعا	فيفر سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلاتك طاغيا	فيه ولاتك مخسر الميزان
فاذا همزت فجيء به متلطفا	من غير ما بهر وغير توان
وامددت حروف المد عند مسكن	أو همزة حسنا أخا احسان

مدود أخرى

أ ـ مد الصلة هو أن يكون في آخر الكلمة ضمير غائب مفرد مذكر متحرك أما بضمة أو كسرة نحو : (من دونه ملتحدا) و (انه بعباده خبير بصير) •

وهذه الهاء ليست حرف مد ولكن يتولد منها واو مدية عندما تكون مضمومة وياء مدية عندما تكون مكسورة اذا أشبعت •

وينقسم مد الصلة الى قسمين : صلة كبرى وصلة صغرى •

١ ـ الصلة الكبرى : هي أن يجيء بعد الضمير همزة مثل : (وله أجر عظيم) • (ومن آياته أن خلقكم من تراب) • فهذه تمد كالمد المنفصل •

٢ ـ الصلة الصغرى : وهي ما لم يأت بعد الضمير همزة مثل : انه قال لـه صاحبه فهذه تمد كالمد الطبيعي ٠

وهذا لا يكون الا عند الوصل ٠ أما في حالة الوقف فيسكن ويمد الضمير المتحرك بالضمة أو الكسرة مع تحرك ما قبله وما بعده فأن سكن ما قبل الهاء مثل : منه أو لم يكن ما بعده متحركا مثل : عليه الله وبه الله ففي هاتين الحالتين لا يمد هاء الضمير عند حفص في جميع القرآن الا في كلمة واحدة وهي : (فيه مهانا) (في سورة الفرقان) فانها تمد مع سكون ما قبلها ٠

ب ـ مد العوض : ومن المدود التي ذكرها العلماء وهو الوقف على الكلمة المنونة المنصوبة حيث يكون المد عوضا عن التنوين نحو حكيما ، عليما ٠ ومقدار مده كالمد الطبيعي ٠

ج ـ مد الفرق : هو الذي يؤتي به للتأكيد من الاستفهام ولأزالة توهم الخبر نحو : آلله أذن لكم ٠ الله خير أما يشركون ٠ آذكرين حرم أم الانثيين ٠ فلولا المد لتوهم انه خبر ٠ ومقدار مده كالمد الطبيعي ٠

وقد أوصل البعض المدود الى أربعة عشر مدا واليكها :

١ ـ مد الحجز : هو ادخال الالف بين الهمزتين نحو : (أأنذرتهم) ويمد قدر الف كالمد الطبيعي ٠

٢ ـ مد العدل : كالضالين ، فأن زيادة المد عادلت الحركة في الفصل بين الساكنين ويسمى لازما كلميا مثقلا ٠

٣ ـ مد التمكين : كأولئك ، فانه يمكن الكلمة من الاضطراب ٠

٤ ـ مد البنية : كدعاء ونداء فأن الكلمة بنيت على المد دون القصر ٠

٥ ـ مد الأصل : كجاء وشاء ، فان المد والهمز من أصول الكلمة ٠

٦ ـ مد الفصل : نحو بما أنزل فانه يفصل بين الكلمتين ويسمى مد البسط ٠

٧ ـ مد اللازم : كص ، وق ويسمى لازما حرفيا •

٨ ـ المد العارض : للوقف كالعالمين •

٩ ـ المد العارض للأدغام : نحو قال رب في رواية السوسى عند أبي عمرو •

١٠ـ مد الفرق : نحو الذكرين لانه يفرق بين الاستفهام والخبر •

١١ـ مد الروم : نحوها أنتم عند من سهل •

١٢ـ مد المبالغة : كلا اله الا الله عند من قصر المنفصل في بعض طرفه وهو بقدر العين •

١٣ـ مد البدل : كآدم ، وآمن فان الالف فيهما مبدلة من الهمزة •

١٤ـ من شبه البدل كبؤوس فان حرف المد ليس مبدلا من همز وانما أشبهه بجامع ان كلا حرف من بعد همز •

أحكام التنوين والنون الساكنة

التنوين : لغة التصويت •

واصطلاحا : نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا لا خطا وتسقط وقفا •

والنون الساكنة : هي التي ذهبت حركتها وتثبت وقفا ووصلا وخطا ولفظا وتكون في الاسم والفعل والحرف وتكون وسطا وطرفا •

عمل التنوين والنون الساكنة

للتنوين والنون الساكنة اذا لاقيا حروف الهجاء أربعة أحكام :

اظهار ، واخفاء ، واقلاب ، وادغام •

الأظهـــار

الأظهار : لغـة البيان •

واصطلاحا : اخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر واظهار النون والتنوين عند ملاقات حرف من حروفه •

وحروف الأظهار ستة : الهمزة ، والحاء ، والخاء ، والعين ، والغـين والهـــاء •

ويسمى اظهارا حلقيا ، كما تسمى هذه الحروف حروف الحلق وقـد جمعت في أوائل هذه الكلمات (الاهاك علما حازه غير خاسر) • نحو : عـذاب أليم عليم حكيم ، عليم خبير من عمل ، قولا غير ، من هاد •

ولا فرق بين أن يكون النون فيوسط الكلمة أو في آخرها بخلاف التنوين فانه لا يكون الا في الآخر •

مثال النون : ينأون ، ينحتون ، والمنخنقة ، أنعمت ، فسيغضون ، منهاجا ، • من آمن ، فأن حاجوك من خير ، من عاد ، من غل ، من هاجـر •

ومثال التنوين : جنات ألفافا ، عليما حكيما ، عليما خبيرا ، سميع عليم • وعزيز غفور ، جرف هار •

وانما ظهر النون والتنوين عند ملاقاتهما لهذه الحروف لبعد المخـرج اذ النون من طرف اللسان وهذه الاحرف من الحلق ولم يحسن الادغام لانه انمـا يسوغه التقارب ولا الاخفاء لانه لا يكون الا عند الحروف السهلة ، وحـروف الحلق أشد الحروف كلفة وعلاجا ، ولا الاقلاب لانه وسيلة الى الاخفاء ولمـا لم يحسن واحد من الثلاثة تعين الأصل وهو الاظهار ومثل هذا يكون مـع التنـــوين •

وقد شبه النحاة الاظهار بمشى المقيد لان الانسان اذا نطق بحـرف وعـاد الى مثله أو الى مقاربه يكون كالراجع الى حيث فارق ، أو الى قريب من حيث قـارب •

الأخفـــاء

الأخفـاء : لغـة الستر .

واصطلاحا : هو النطق بحرف بين الأظهار والادغام عار من التشـــديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول .

وحروف الأخفاء خمسة عشر حرفا ، وهي : (ت . ث . ج . د . ذ . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ف . ق . ك) يجمعها ما في أوائل هذه الكلمات وهي :

صف ذاتـا جود شخص قد سما كرمـا

ضـــغ ظالما زد تقى دم طالبـا فترى

مثل : منصورا ، منثورا ، صعيدا طيبا ، جنات تجري ، من ذكر ووجـه اخفاء النون والتنوين عند ملاقاته لهذه الاحرف هو أنهما لم يقربا مـن هـــذه الاحرف مثل قربهما من حروف الادغام فيدغما ولم يبعدا منها مثل بعدهما من حروف الاظهار فيظهرا ، فأعطيا حكما متوسطا بين الاظهار والادغام وهو الاخفـاء المحض الذي لا قلب معه ولذلك لم يحسن القلب لعدم ما يقتضيه من عسر الغنة ثم اطباق الشفتين .

ومراتب الاخفاء ثلاثة :

أعلى : عند الطاء والدال والتاء .

وأدنى : عند القاف والكاف .

وأوسط : عند العشرة الباقية .

والفرق بين الادغام والاخفاء هو أن الادغام فيه تشديد والاخفاء لا تشديد فيه والاخفاء يكون عند الحرف والادغام يكون في الحرف .

الاقـــلاب

الأقلاب : لغة تحويل الشيء عن وجهه •

واصطلاحا : جعل حرف مكان حرف آخر • أي قلب النون الســاكنة أو التنوين عند ملاقات الباء الموحدة ميما مع اخفائها ومراعاة الغنة والاخفاء •

وللأقلاب حرف واحد هو الباء (ب) نحو : لينبذن ، سميع بصير •

وسبب هذا الاقلاب عسر الاتيان بالغنة في النون والتنوين مع الاظهار ثــم اطباق الشفتين لاجل الباء وعسر الادغام كذلك لاختلاف المخرج وقلة التناسب أما عدم حسن الاخفاء فلكونه حالة بين الاظهار والادغام فلما لم يحسنا لــم يحسن أيضا ولما لم يحسن واحد من الثلاثة تعين الاقلاب كما تعين اخفاء الميم ومعــنى ذلك ليس اعدامها بالكلية ، بل اضعافها وستر ذاتها في الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان وكذا تشارك الباء في المخرج وأكثر الصفات التي هــي الجهر والاستفال والانفتاح والاذلاق • مثل أنبئهم ، ان بورك ، عليم بــذات الصــــدور •

الأدغـــام

الادغام : لغة الادخال والمزج •

واصطلاحا : ايصال حرف ساكن بحرف متحرك يصيران حرفا واحــدا مشددا ، ويرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحــدة ، أو هو النطق بالحرفين كالثاني مشــــددا •

وحروف الادغام ستة وهي : (ر • ل • م • ن • و • ى) يجمعهــا يرملون •

أقســام الأدغام

ينقسم الادغام الى قسمين : ادغام بغنــة ، وادغام بلا غنــة •

الادغام بغنــة

الادغام بغنة : هو ادغام النون الساكنة أو التنوين عند ملاقاة حرف واحد من حروف (ينمو) أي (م . ن . و . ى) نحو : من مال وبنين ، أن نقول ، من وال من يعمل .

ويشترط أن تكون النون الساكنة في كلمة وحرف الادغام في كلمة أخرى . أما اذا اجتمعت النون الساكنة وحرف الادغام في كلمة واحدة يمنع الادغام ووجب الاظهار مثل : قنوان ، بنيان ، صنوان ، الدنيا .

ولم يدغم هذا النوع لئلا يلتبس بالمضاعف وهو ما تكرر أحد أصوله ، كديان . فلو أدغم لم يظهر الفرق بين ما أصله النون وما أصله التضعيف . ويسمى اظهارا مطلقا لعدم تقييده بحلق أو شفة ولم يقع من كلمة بعد النون الا الواو والياء .

وفائدته تخفيف اللفظ لثقل عود اللسان الى المخرج الاول أو مقاربه فأختير الادغام طلبا للخفة .

ويسمى الادغام بغنة ناقصا : لان الادغام لم يتم حيث بقى من الحرف صفته وهي الغنة فوجود الغنة تمنعه عن كمال التشديد .

وذكر ان سبب ادغام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو التجانس في الانفتاح والاستفال والجهر ، ومشابهتهما النون والتنوين باللين الذي فيهما لانه شبيه بالغنة حيث يتسع هواء الفم .

وعلم من هذا ان الغنة صفة المدغم عند الواو والياء وصفة المدغم فيه عند النون وأما عند الميم فبعضهم جعلها صفة المدغم استصحابا للاصل وبعضهم جعلها صفة المدغم فيه لانقلاب النون ميماً .

الأدغام بلا غنة

الادغام بلا غنة : هو ادغام النون الساكنة أو التنوين عند ملاقاة حرف من حروف (لر) أي (رل) بلا غنة نحو : من ربك هدى للمتقين .

ويسمى هذا ادغاما كاملا لذهاب الحرف والصفة معا .

ووجه حذف الغنة مع اللام والراء المبالغة في التخفيف .

ويستثني من ادغام النون في الراء نون (من راق) فانه يسكت عليها سكتة لطيفة بدون تنفس ولا يأتي الادغام مع السكت ٠

وكذلك النون مع الواو من (يسن والقرآن الحكيم ٠٠ نون والقلم) وكان حقهما الادغام لانهما من كلمتين ٠

وأدغم النون في الميم من (طسم) وكان حقهما الاظهار لانهما من كلمة ٠

ووجه الاظهار في الاولين مراعاة الانفصال الحكمي لان النون فيهما وان أتصلت بها بعدها لفظا فهي منفصلة حكما ، وذلك لأن كلا من يس ونون اسم لسورة والنون فيهما حرف هجاء لا حرف مبني وما كان كذلك حقه الفصل عما بعده فيظهر وصلا كما يظهر وقفا ومن أدغم راعى الاتصال اللفظي لاتصال النون بالواو فيهما لفظا ولم ينظر للسببين المذكورين ٠

ووجه الادغام في طسم مراعاة الاتصال اللفظي ليتأتى معه التخفيف بالادغام ولعدم صحة الوقف عليها لانها جزء كلمة بل الوقف على تمامها ومن أظهر اجراها مجرى (يس ونون) حيث كان وزنهما واحدا ٠

وأما اجماعهم على الادغام في (ألم) وعلى الاخفاء في (كهيعص) وطس وحمعسق ولم يظهروا مراعاة للانفصال الحكمي فلأن الاظهار في (ألم) فيه كلفة شديدة بسبب اجتماع المثلين الساكن أولهما والادغام مزيل للكلفة المذكورة فأدغموها مراعاة للاتصال اللفظي ٠

والاخفاء في البواقي موافق للانفصال الحكمي المناسب للاظهار وللاتصال اللفظي المناسب للادغام لان الاخفاء حالة بين الاظهار والادغام فأخفوا النون فيهن مراعاة لما ذكر ٠

أقسام الادغام الأخرى

وينقسم الادغام أيضا الى ثلاثة أقسام :

أدغام مثلين ، وأدغام متجانسين ، وأدغام متقاربين ٠

أدغام المثلين

أدغام المثلين : هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ٠

نحو : فما ربحت تجارتهم ، أضرب بعصاك ٠

واذا اجتمع حرفان متماثلان وسكن الحرف الاول يجب ادغامهما سواء كانا في كلمة أو كلمتين ٠ نحو : يدرككم ، أضرب بعصاك ٠

ويسمى هذا الادغام صغيرا لقلة العمل فيه لان فيه عملا واحدا وهو الادغام ٠

واذا لاقت النون الساكنة نونا أخرى يكون ادغاما مع الغنة وادغام مثلين نحو : من نار ، من نور ٠

ولا خلاف في ادغام أول المتماثلين اذا كان ساكنا في ثانيهما الا أن يكون حرف مد فأنه يظهر بلا خلاف ٠ نحو : في يوم وقالوا وهم ٠ وعللوا ذلك بالمحافظة على المد فأنه يذهب بالادغام فان كان الاول حرف لين دخل في الحكم العام وهو وجوب الادغام كما في آووا ونصروا ٠

أما ادغام المثلين الكبير : فهو أن يكون الحرفان متحركين نحو : فيه هدى ، الرحيم مالك ٠

وسمي كبيرا لكثرة العمل فيه ٠

أما ادغام المثلين المطلق الذي ليس بصغير ولا كبير هو أن يكون الحرف الاول متحركا والثاني ساكنا نحو : تتلى وننسخ وشققنا ٠ وحكمه وجوب الاظهار وذكره متمم للاقسام الثلاثة التي قسم هذا الادغام اليها وان كان لا يترتب عليه كبير فائدة ٠

ادغام المتجانسين

ادغام المتجانسين : هو أن يتفق الحرفان في المخرج ويختلفان في بعض الصفات وذلك فيما يلي : الدال في التاء مثل : قد تبين : فأن مخرجهما واحد

وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفاتهما مختلفة لا فتراقهما في أن الدال مجهورة مقلقلة والتاء مهموسة غير مقلقلة •

والذال في الظاء مثل : اذ ظلموا : فمخرجهما واحد مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وصفاتهما مختلفة فالذال مجهورة والظاء من حروف الاستعلاء •

والثاء في الذال مثل : يلهث ذلك فمخرجهما واحد مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وصفاتهما مختلفة فالثاء مهموسة والذال مجهورة •

والباء في الميم مثل : اركب معنا فمخرجهما ما بين الشفتين وصفاتهما مختلفة فالباء مجهورة والميم من حروف الاستعلاء •

والتاء في الدال مثل : أجيبت دعوتكما ، فمخرجهما اللسان وأصول الثنايا العليا وصفاتهما مختلفة فالتاء مهموسة والدال مجهورة •

والتاء في الطاء مثل : وقالت طائفة ، فأن مخرجهما واحد وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفاتهما مختلفة فالتاء مهموسة والطاء مجهورة •

وتدغم الطاء ادغاما ناقصا في التاء مثل : أحطت •

فاذا التقى حرفان متجانسان وكان الاول منهما ساكنا أدغم الاول في الثاني نحو : بل لا يخافون ، وقل لهم • ومثل ذلك سائر الحروف وأما الحكم بأدغام أول المتجانسين اذا كان ساكنا في ثانيهما فليس على الاطلاق فقد حكموا بوجوب اظهار اللام الساكنة عند النون نحو : قل نعم مع انهما متجانسان أو متقاربان وقالوا أن النون لا يدغم فيها شيء مما أدغمت فيه من حروف يرملون ، ويريدون سوى النون •

وقد قسم العلماء ادغام المتجانسين الى ثلاثة أقسام :

١ ـ الصغير : وهو ثلاثة أقسام :

الاول : ما أتفق على ادغامه وهو أربعة أحرف : الدال في التاء نحو : قد تبين وكذا التاء في الدال والطاء نحو : أثقلت دعوا الله ، همت طائفة ، وكذا

الذالّ في الظاء نحو اذ ظلموا ، وكذا اللام في الراء نحو : قل رب على رأى من قال بذلك .

والثاني : ما اختلفت في اظهاره وهو ثلاثة أحرف : الثاء في الذال نحو : يلهث ذلك ، وكذا الباء في الميم نحو : اركب معنا ، يعذب من يشاء على قراءة السكون ، وكذا الراء في اللام نحو : استغفر لهم ويغفر لمن يشاء على قراءة السكون .

والثالث : ما اتفق على اظهاره وهو غير ما ذكر نحو : فاصفح عنهم وانتم وآباءكم وسمي هذا صغيرا : لقلة عمله اذ فيه عملان قلب وادغام .

أما الكبير : فقد جاز فيه الاظهار عند جميع القراء .

أما الادغام فقد قال به السوسى بشرط أن يكون من كلمتين .

وسمي ادغاما كبيرا لكثرة العمل فيه لان فيه ثلاثة أعمال وهي الاسكان والقلب والادغام .

أما المطلق : فلا يكون الا في الاظهار نحو : مبعوثين في الميم والباء .

ادغام المتقاربين

ادغام المتقاربين : هو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة . والمراد بقرب أحد المخرجين من الاخر ما يشمل مجاورته له .

والحرفان اللذان تقاربا مخرجا وصفة هما مخرج الراء واللام نحو : قل رب ، بل رفعه الله .

أو تقاربا مخرجا لا صفة كالدال والسين نحو : قد سمع لان مخرج السين عقب مخرج الدال . أما بعدهما في الصفات فلأن الدال مجهورة شديدة مقلقلة والسين مهموسة رخوة صغيرة .

أو تقاربا صفة لا مخرجا كالسين والشين نحو : العرش سبيلا لان السين مخرجه من طرف اللسان والشين مخرجه من وسطه وقربهما في الصفات لاشتراكهما في الهمس والرخوة والانفتاح والاصمات .

ثم ان المراد بقرب أحد المخرجين من الاخر ما يشمل مجاورته له كاللام والراء وما فيه نوع انفصال كالقاف والكاف .

والمراد بقربهما في الصفات اشتراكهما في جميعها كالجيم والدال فقد اشتركا في الهمس والشدة والاستفال والانفتاح والاصمات والقلقلة .

أو ان يشتركا في أكثر الصفات كالسين والشين .

أو تكافؤهما في القوة والضعف بأن يكون في أحدهما من صفات القوة أو الضعف في الاخر .

وله ثلاث درجات : صغير ، وكبير ، ومطلق .

فالصغير : هو تقارب الحرفين مخرجا وصفة نحو . قل رب بل ران . فيجوز فيه الاظهار والادغام .

وسمي صغيرا لقلة العمل فيه لان فيه عملين القلب والادغام .

والكبير : هو أن يتقاربا مخرجا لا صفة نحو : عدد سنين ، والعرش سبيلا فيجوز فيه الاظهار وهو ما أجمع عليه القراء أما الادغام فهو عند السوسى .

وسمي كبيرا : لكثرة العمل فيه لان فيه ثلاثة أعمال : اسكان وقلب وادغام .

والمطلق : ليس له الا الاظهار نحو : اللام والياء مثل عليك .

المتباعدان والمتقاربان

قد يخفى على بعض القراء الفرق بين المتباعدين والمتقاربين .

وقد تولى العلماء رحمهم الله تعالى تبيان ذلك . واليك ملخص ذلك :

المتباعدان هما الحرفان اللذان تباعدا مخرجا واختلفا صفة وحكمه الاظهار سواء كان صغيرا كالتاء والعين نحو : تليت عليهم .

أو كان كبيرا كالكاف والهاء نحو : فاكهين . أو كان مطلقا كالحاء والقاف نحو : هو الحق .

والخلاصة : أن كل حرفين التقيا خطا ولفظا أو خطا فقط أما أن يكونا من عضوين أو من عضو ، فأن كانا من عضوين فهما متباعدان وان كانا من عضو فهما متقاربان ان لم يوجد مخرج فاصل بينهما والا فمتباعدان .

وان أحرف الحلق مع أحرف اللسان والشفتين متباعدان ، وكذلك أحرف اللسان مع أحرف الشفتين متباعدان .

وأما الذي مخرجه مقدر وهو أحرف الجوف وهما حروف المد فلا توصف بالتقارب ولا بالتباعد لعدم وجود حيز لها ينتهي به الحرف عند النطق به بل هو قائم بهواء الفم .

أحكام اللام

للام (أل) أحكام :

أولها : أما أن تكون أصلية نحو : (ألسنتكم وألوانكم) ، فهذه الالف واللام ليست زائدة بل هي من بنية الكلمة وتسمى لام الاسم وحكمها الاظهار .

وأما أن تكون (أل) زائدة عن بنية الكلمة ، وهذه لها حالتان الادغام والاظهار فأولها تسمى اللام الشمسية والثانية تسمى اللام القمرية .

اللام الشمسية

اللام الشمسية : هي اللام التي تدغم بما بعدها وجوبا اذا وقع بعدها حرف من أربعة عشر حرفا فاذا لقيت احدى هذه الحروف لام (أل) قلبتها اليها فصارت مثلها ثم أدغمت فيها .

وذلك ان اللام من طرف اللسان وأحد عشر حرفا من هذه الحروف من طرف اللسان والاحرف الاخرى تخالط طرف اللسان ، فلما اجتمع فيها هذا لم يجز الا الادغام .

والاحد عشر حرفا التي لها قوة في الادغام (ن . ر . ذ . ت . ص . ط . ز . س . ظ . ث . ل) .

وقد جمعت هذه الحروف الاربعة عشر في أوائل هذه الكلمات التالية :

تب ثم دع ذا رواء زاد سقم شجي
وصل ضعيفا وطب ظلا لذن نجي

وان هذا الادغام ينقسم الى قسمين : ادغام بلا غنة : وادغام مع غنة :

أ ـ ادغام الشمسية بلا غنة : اذا لاقى حرف التعريف حرفا من حروف الشمسية ما عدا النون فأن ادغامها يكون ادغاما بلا بغنة .

ب ـ ادغام الشمسية مع الغنة : وذلك اذا لاقى حرف التعريف النون حيث يكون الادغام شمسيا بغنة : والناس ، والنور .

ووجه الادغام قرب المخرج لان اللام مخرجها من حافة اللسان وان النون مخرجها من طرف اللسان فتقاربا فأدغما .

وسميت هذه اللام شمسية تشبيها لها بلام الشمس في الخفاء وعدم الظهور أو لتشبيه الاحرف بالشمس واللام بمنزلة النجم الذي لا يظهر مع الشمس ولكنه يظهر مع القمر .

وكما تسمى هذه اللام شمسية تسمى أيضا الادغام الشمسى) .

اللام القمرية

اللام القمرية : هي اللام التي لا تدغم بما بعدها وجوبا اذا وقع بعدها حرف من اربعةعشر حرفا وهي (أ.ب.ج.ح.خ.ف.ق.ك.م.و.هـ.ع.غ.) يجمعها : أبغ حجك وخف عقيمه مثل : القمر ، والعصر .

وكما يسمى اللام القمرى ، يسمى أيضا (الاظهار القمري) .

وانما سميت هذه اللام قمرية : تشبيها بلام القمر في الظهور .

أو لتشبيه الاحرف بالقمر واللام بالنجم حيث أن النجم يبقى نوره عند ظهور القمر .

وانما كان اظهارا لبعد مخرج اللام عن مخرج الحروف الاربعة عشر .

أحكام اللام الاخرى

ترقق اللام في جميع المواضع الا في لفظة الجـلالة اذا كان ما **قبلها مفتوحا** أو مضموما فأنها تفخم تعظيما لله تعالى • مثل : هو الله ، **نصر الله** ، على **الله** •

واذا كان مكسورا رققت • نحو لله بالله •

أما اللام الاصلية : فحكمها الاظهار مطلقا • نحو : سلطان وسلسبيلا •

أما لام الفعل : فيجب اظهارها سواء كان الفعل ماضيا نحـو : **التقى الماء** أم كان مضارعا نحو : يلتقطه •• أم كان أمرا نحو : قـل •

ووجب اظهارها محافظة على لام الفعل ومراعاة للاصل •

وهذا اذا لم يقع بعدها لام أو راء والا وجب الادغام **للتماثل في الـلام** والتقارب في الراء نحو : قل لكم ، قل رب •

وأما لام الحرف : فيجب اظهارها نحو : هل تستقيمون **بل طبع بل تتبع** •

ومحل اظهارها اذا لم يقع بعدها لام أو راء والا **وجب الادغام نحـو** : بل لا يخافون هل لكم ، بل رفعه الله •

مخارج الحروف

المخارج : جمع مخرج وهو لغة محل الخروج •

والمخرج : هو موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره والحرف : لغـة هو الطرف •

وفي الاصطلاح : **هو صوت اعتمد على مقطع أي مخرج محقق ، أي هو** الصوت الذي هو الهواء الخارج من داخل الرئة **متصعدا** •

فعلى تالى القرآن الكريم أن ينطق بألفاظه وحروفه **بحسب ماورد عـن** جبريل عليه السلام عن محمد رسول الله صلى الله عليه **وسلم • وان ذلك كله** ليحتاج الى معرفة مخارج الحروف وصفاتها كي تتميز **الحروف بعضها عن بعض**

ويتعرف كمية كل منها وكيفيته ومن أتقن مخارج الحروف وصفاتها نطق بأفصح اللغات لغة القرآن .

ومخارج الحروف هي خمسة وتسمى المخارج العامة وهي :

الجوف : وله مخرج واحد .

الخيشوم : وله مخرج واحد .

الشفتان : ولهما مخرجان .

الحلق : وله ثلاثة مخارج .

اللسان : وله عشرة مخارج .

وان معرفة المخرج للحرف بمنزلة الوزن والمقدار يعرف به كميته ومقداره وأن الصفة بمنزلة الناقد يعرف به كيفيته .

وان المخارج العامة التي ذكرناها مجملة هي في الحقيقة سبعة عشر مخرجا فصلها العلماء على الوجه التالى :

١ ـ الجوف : وهو لغة الخلاء .

واصطلاحا : هو الخلاء الداخل في الفم والحلق . أو في جوف الحلق والفم أي الخلاء الداخل فيهما .

ويخرج منه حروف المد الثلاثة التي هي :

الالف : ولا تكون الا ساكنة وما قبلها مفتوح .

والواو : ولا تكون الا ساكنة وما قبلها مضموم .

والياء : ولا تكون الا ساكنة وما قبلها مكسور .

وان هذه الاحرف الثلاثة لتخرج بأمتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها وتسمى هذه الاحرف (الجوفية والهوائية) .

٢ ـ الخيشوم : وهو داخل أقصى الانف ، أو هو حرق الانف المنجذب الى الداخل فوق سقف الفم وليس بالمنخر .

ويخرج من الخيشوم أحرف الغنة وهي :

النون الساكنة حال ادغامها بغنة أو اخفاء • والنون والميم المشددتان والميم اذا ادغمت في مثلها أو أخفيت عند الباء •

فيكون للنون والميم مخرجان ، مخرجهما الاصلي وذلك ان مخرج النون هو طرف اللسان ومخرج الميم ما بين الشفتين في حالتي الاظهار والتحريك والمخرج الثاني : هو الخيشوم حالة التشديد والادغام والاخفاء •

٣ ـ الشفتان : وفيهما مخرجان

الاول : باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا وهو مخرج الفاء (ف)•

الثاني : ما بين الشفتين وهو مخرج الباء والميم والواو (ب م و) بانفتاح في الواو على أن تكون غير مدية ، وانطباق في الباء والميم وتسمى هذه الحروف شفوية لخروجها من الشفة •

٤ ـ الحلق : هو مجرى الطعام والشراب في أقصى الفم وله ثلاثة مخارج :

الاول : أقصى الحلق أي أبعده من الفم مما يلي الصدر وهو مخرج الهمزة والهاء (أ هـ) الا ان الهمزة أدخل من الهاء مما يلي الصدر ، وتليها الهاء •

الثاني : وسط الحلق ، وهو ما لاصق الجوزة من أسفلها وهو مخرج العين والحاء (ع ح) ، الا ان العين أدخل من الحاء •

الثالث : أدنى الحلق ، أي أقربه مما يلي الفم ، وهو مخرج الغين والخاء (غ خ) الا ان الغين ادخل من الخاء •

وتسمى هذه الأحرف الستة بالحلقية لخروجها من الحلق •

٥ ـ اللسان : هو لحمة في الفم فيها عروق وعضل وهو آلة النطق والذوق والبلع وتناول الغذاء • وله عشرة مخارج :

الاول : أقصى اللسان أي أبعده مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى وهو مخرج القاف (ق) •

الثاني : أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف قريبا الى مقدم الفم مع ما يليه من الحنك الأعلى وهو مخرج الكاف (ك) .

لأن القاف أقرب الى الحلق من الكاف والكاف أقرب الى الفم من القاف. وهذان الحرفان يقال لكل منهما لهوى ، نسبة الى اللهاة (وهي لحمة مشتكة بآخر اللسان) .

الثالث : وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، وهو مخرج الجيم والشين والياء غير المدية (ج ش ي) .

وتسمى هذه الحروف الثلاثة شجرية لخروجها من شجرة اللسان وهو منفتح ما بين اللحيين .

الرابع : احدى حافتي اللسان (أي جانبه) مع ما يحاذيها من الأضراس العليا التي أولها الناجذ المسمى بضرس العقل وآخرها الضاحك المجاور للناب وهو مخرج الضاد (ض) الذي هو أصعب الحروف على اللسان .

وخروج الضاد من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالا ومن الجهة اليمنى أصعب وأقل استعمالا ومن الجانبين أعز وأصعب .

وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الضاد من الجانبين لذلك كان يقول : (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش) .

كما كان سيدنا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يخرجها من الجانبين .

الخامس : من حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرفه وما بينها وبين مايليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام (ل).

وتخرج من حافتي اللسان اليمنى واليسرى الا ان خروجها من اليمنى أسهل وأكثر استعمالا عكس الضاد وليس في الحروف أوسع مخرجا من اللام.

ان كلا من الضاد واللام يخرج من احدى حافتي اللسان مع ما يليها من لحم الأسنان العليا الا ان الضاد من الناجذ الى الضاحك واللام من الضاحك الى الثنية .

السادس : من طرف اللسان وما يحاذيه من لثة الثنايا العليا هو مخرج النون (ن) المظهرة أما المدغمة والمخفاة فمخرجها الخيشوم .

السابع : من طرف اللسان وما يحاذيه من الثنايا غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام . وهو مخرج الراء (ر) .

وتسمى هذه الحروف الثلاثة (ل ن ر) اللام والنون والراء ذلقية لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه .

الثامن : من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا الى جهة الحنك وهو مخرج الطاء والدال والتاء (ط د ت) .

فيما يلي اللثة يخرج منه الطاء ومن بعده الدال ومن بعده التاء .

ويقال لهذه الثلاثة الحروف النطعية ، لانها تخرج من نطع الفم أي جلدة غار الحنك الأعلى وهو سقفه .

التاسع : طرف اللسان مع ما بين الاسنان العليا والسفلى قريبا الى أطراف الأسنان السفلى مع انفراج قليل بين اللسان والثنايا عند الذكر ، وهو مخرج الزاء والسين والصاد (ز س ص) .

فالصاد أدخل والزاء أخرج والسين متوسط .

وتسمى هذه الثلاثة (اسلية) لخروجها من اسلة اللسان أي ما دق منه وتسمى أيضا (حروف الصفير) .

العاشر : ما بين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأس الثنيتين العليتين وهو مخرج الظاء والذال والثاء (ظ ذ ث) .

وهذا المخرج أقرب الى خارج الفم من المخرج السابق .

ويأتي ترتيبها حسب قرب اللسان الى الخارج فاللسان يقرب الى الخارج من الثاء أكثر مما يقرب في اختيها ويقرب اليه في الذال أكثر مما يقرب في الظاء .

وتسمى هذه الثلاثة لثوية لخروجها من قرب اللثة .

وإذا أراد القارىء أن يعرف مخرج أي حرف فليسكنه أو يشدده • وهو الأظهر بعد أن يدخل عليه همزة الوصل محركة بأى حركة للتوصل الى النطق به وليصغ اليه فحيث انقطع الصوت في الفم فذاك مخرجه •

وان الحروف الهجائية التي ذكرت مخارجها تنقسم الى أصلية وفرعية •

فالأصلية : هي تسعة وعشرون حرفا وهي التي يفهم بها كتاب الله وبها نزلت أسماؤه تعالى وصفاته وبها قامت حجة الله على خلقه •

وأما الحروف الفرعية : فهي التي تخرج من مخرجين وتتردد بين حرفين وتنقسم الى فصيح وغير فصيح • كالألف الممالة فانها ألف بين الألف والياء فلا هي ألف خالصة ولا ياء خالصة وانما هي الف قربت من لفظ الياء لعلل أوجبت ذلك وكالألف المفخمة التابعة لحرف مفخم فهي ألف يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو كما كانت الألف المحالة يخالط لفظها ترقيق يقربها من الياء •

أسنان الانسان

نذكر هنا أسنان الانسان لتعلق بعض المخارج بها وهي اثنتان وثلاثون سنا •

أربع ثنايا : وهي التي في مقدم الفم ، ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل •

أربع رباعيات : وهي التي تلي الثنايا ، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل •

وأربع أنياب : وهي التي تلي الرباعيات ، نابان من فوق ونابان من تحت•

وأربع ضواحك : وهي ما يبدو من مقدم الأضراس عند الضحك •

واثنا عشر رحى : وتسمى الطواحين ثلاث من كل جانب ست من فوق وستة من أسفل •

وأربعة نواجذ : وهي أواخر الأسنان من كل جانب اثنتان من فوق واثنتان من أسفل •

وان الأسنان على ثلاثة أنواع :

منها ما هو للطحن والتنعيم وهي الأضراس •

ومنها ما هو للكسر وهي الأنياب ولذلك خلقت رؤسها مستديرة •

ومنها ما هو للقطع وهو الرباعيات والثنايا لذلك خلقت حادة الرؤس •

ألقاب الحروف

لقد ذكر العلماء ان للحروف عشرة القاب وفيما يلي نصها :

١ ـ الحلقية : وهي ستة حروف الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء • (أ ح خ ع غ هـ) والحلق هو مجرى الطعام والشراب في أقصى الفم •

٢ ـ اللهوية : وتكون في القاف والكاف (ق ك) وهي نسبة الى اللهاء وهي لحمة مشتكة بآخر اللسان •

٣ ـ الشجرية : وتكون في الجيم والشين والضاد والباء (ج ش ض ب) والشجر منفتح اللسان ما بين اللحيين •

٤ ـ الأسلية : وتكون في الصاد والسين والزاي (ص س ز) لأن مبدأها من اسلة اللسان وهي مستدق طرفه •

٥ ـ النطعية : وتكون في الطاء والدال والتاء (ط د ت) لأن مبدأها من نطع أي جلد غار الحنك الأعلى وهو سقفه •

٦ ـ اللثوية : وتكون في الظاء والذال والثاء (ظ ذ ث) لأن مبدأها في اللثة •

٧ ـ المَذْلَقية : وتكون في الراء واللام والنون (ر ل ن) وسميت بذلك لانها تخرج من طرف اللسان •

٨ ـ الشفوية : وتكون في الفاء والباء والميم والواو (ف ب م و) ويقال لها أيضا شفهية وسميت بذلك لانها تخرج من طرف الشفة •

٩ ـ الهوائية : وتكون في الواو والألف والياء (و ا ي) وهي الحروف المدية •

١٠ـ الجوفية : وتكون في الألف والواو والياء (ا و ي) كالهوائية ، لانها باعتبار المد هوائية وباعتبار مجيئها من الجوف جوفية لانها تخرج من جو الفم والحلق •

صفات الحروف

الصفة : لغة ما قام بالشيء من المعاني كالبياض أو السواد •

وفي الاصطلاح : هي الكيفيات العارضة للحرف عند حصونه في المخرج من جهر ورخاوة •

وان الصفات للحروف كالناقد للأمور بعلم ودراية تميز الحروف المشتركة بعضا عن بعض ، وتبين كيفية النطق بها •

ولقد ذكر العلماء : ان المخارج للحروف بمثابة موازين تعرف بها مقاديرها •

والصفات بمثابة الناقد الذي يميز الجيد من الرديء فببيان مخرج الحرف نعرف كميته أي مقداره فلا يزاد فيه ولا ينقص ، وببيان الصفة نعرف كيفيته أي عند النطق به من سليم الطبع كجري الصوت وعدمه •

وتحقيق ذلك ـ كما جاء في نهاية القول المفيد ـ : ان الهواء الخارج من داخل الرئة بالهمز وهو موضع النفس وللقلب كالغشاء ان خرج بدفع الطبع من غير أن يسمع يسمى نفسا ـ بفتح الفاء ـ وان خرج بالارادة وعرض له تموّج يسمع بسبب تصادم جسمين سمي صوتا ، وان عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب اعتماده على مقطع أي مخرج محقق وهو الذي ينقطع فيه الصوت كجزء من الحلق أو اللسان أو الشفتين أو الخيشوم أو مقدور وهو الذي لم ينقطع فيه الصوت بل قدروا له جوف الحلق والفم وسمي ذلك الصوت حروفا وان عرض للحروف كيفيات أخر في الواقع بسبب نحو جرى الصوت وعدمه وقوة الاعتماد على المخرج وعدمها وسميت تلك الكيفيات صفات•

ثم ان العلماء ذكروا للحروف سبع عشر صفة • عشرة مضادة وسبع ليست متضادة • وقد أوصل البعض هذه الصفات الى الاثنتين والعشرين •

والاجماع على الرأي الأول بزيادة الغنة على رأي البعض •

والصفات المتضادة هي التي لكل واحد منها ضد له اسم يطلق عليه وهي :

١ ـ الجهر : وضده الهمس •

٢ ـ الشدة : وضدها الرخوة والتوسط •

٣ ـ الاستعلاء : وضده الاستفال •

٤ ـ الاطباق : وضده الانفتاح •

٥ ـ الاذلاق : وضده الاصمات •

أما الصفات السبع التي لا ضد لها فهي :

الصفير ، القلقلة ، اللين ، الانحراف ، التكرير ، التفشي ، الاستطالة ، وأضاف اليها البعض الغنة •

الجهــر

الجهر : لغة الاعلان والاظهار •

واصطلاحا : انحباس جري النفس عند النطق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج مع تحرك حروفه •

ويسمى أيضا المجهور ، لأنه قد لزم موضعه الى انقضاء حروفه وحبس النفس أن يجرى معه فصار مجهورا لانه لم يخالطه شيء بغيره •

وحروفه تسعة عشر حرفا هي : (ا ب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن و لا ي) • وقد جمعت في الكلمات التالية :

عظم وزن قارىء ذى غض جد طلب • (أى رجح ميزان قارىء ذى عض للبصر اجتهد في الطلب) •

وسميت هذه الحروف جهرية لقوتها في النفس وقوة الاعتماد عليهـا في موضع خروجها حتى لا تخرج الا بصوت قوي يمنع النفس من الجري معها • مثل (قق) فان النفس محصور لا يجري معهـا •

الهمس

الهمس : لغة الخفاء قال تعالى (فلا نسمع الا همسا) أى صوتا خفيا

وفي الاصطلاح : هو جري النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج •

وحروفه عشرة هي : (ت ث ح خ س ش ص ف ك ه) **يجمعها** سكت فحثه شخص وسميت مهموسة لضعفها في نفسها وضعف الاعتماد عليها حتى لا تقوى على منع النفس من الجري معها فصار فيها نوع خفاء وهو دون المجهور في رفع الصوت •

الشدة

الشدة : لغة هي القوة •

وفي الاصطلاح : هي احتباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج •

وحروفها ثمانية هي : (أ ب ت ج د ط ق ك) يجمعها أجدك قطبت •

وسميت شديدة لقوتها في نفسها وانحباس الصوت والنفس عند النطق بها •

والفرق بين الجهر والشدة : ان الجهر انحصار النفس عند تحرك حروفه ، والشدة انحصاره عند اسكانها ، فقد يجري النفس ولا يجري الصوت كالكاف والتاء وقد يجري الصوت ولا يجري النفس كالضاد والغين •

التوسط

التوسط : لغة هو الاعتدال •

وفي الاصطلاح : هو اعتدال الصوت عند النطق بالحرف ولم يجر الصوت مع حروفه جريانه مع الرخوة ولم ينحبس معه انحباسه مع الشدة •

وحروفه خمسة هي (ر ع ل م ن) يجمعها لم نرع •

وسميت متوسطة لأن الصوت لم يجر معها جريانه مع الرخوة ولم ينحبس معها انحباسه مع الشدة •

الرخـــوة

الرخوة : لغة هي اللين • ويقال لها أيضا الرخاوة •

وفي الاصطلاح : جريان الصوت مع حروفه حال اسكانها لضعف الاعتماد على المخرج وحروفها ستة عشر حرفا هي : (ث ح خ ذ ز س ش ص ض ظ غ ف و هـ لا ي) •

وسميت رخوا للينها وضعف الاعتماد عليها حتى لا تقوى على منع الصوت أن يجري معها •

والفرق بين الشدة والرخوة : انك لو نطقت بالجيم التي هي من حروف الشدة ساكنة كالحج وجدت صوتك راكداً محصوراً ولا يمكنك أن تمده •

ولو نطقت بالسين التي هي من حروف الرخوة ساكنة كالناس وجـــدت صوتك جاريا غير محصور •

ولو نطقت باللام التي هي مـن حروف التوسط سـاكنة كيعمل وجـدت صوتك بين بين أي ليس جاريا جريانه مع الرخوة ولا محصورا انحصاره مـع الشدة وانما اعتبر الاسكان في الرخوة وضده والتحريك في الجهر وضده لان احتباس الصوت في مخرجه أو جريه فيه أو كونه بين بين حالة السكون أبين •

الاســـتعلاء

الاستعلاء : لغة هو الارتفاع والعلو •

واصطلاحا : هو ارتفاع اللسان عند التلفظ بحرف من حروفه الى الحنك الأعلى وحروفه سبعه هي (خ ص ض ط ظ غ ق) يجمعها خص ضغط قظ •

وسميت أحرف الاستعلاء مستعلية لاستعلاء اللسان بها عند النطق وخروج صوتها من جهة العلو •

الاســـتفال

الاستفال : لغة هو الانخفاض ٠

وفي الاصطلاح : هو انخفاض اللسان وانحطاطه عن الحنك الأعلى الى قاع الفم عند النطق بالحرف ٠

وحروفه اثنـان وعشرون وهي (أ ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ع ف ك ل م ن و هـ لا ي) ٠

وسميت هذه الاحرف مستفلة لأن اللسان لا يستعلي بها الى الحنك الأعلى عند النطق بها ٠

الاطبـــاق

الاطباق : لغة هو الالصاق ٠

واصطلاحا : هو انطباق اللسان الى الحنك الأعلى عند النطق بحروفه ٠ أو هو تلاقي طائفي اللســان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف ٠

وحروف الاطباق أربعة هي (ص ض ط ظ) ٠

وسميت بذلك لالتصاق اللسان وقربه بما يحاذيه من الحنك الأعلى وانحصار الصوت بينهما ٠

وان حروف الاطباق من حروف الاستعلاء ولكنها أبلغ منها في التفخيم ٠

الانفتـــاح

الانفتاح : لغة هو الافتراق ٠

واصطلاحا : هو انفتاح قليـــل بين اللسان والحنك الأعلى بحيث يخرج الريح من بينهما عند النطق بحروفه ٠

وحروفه خمسة وعشرون هي : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

ش ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي) يجمعها من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث (أي من وجد سعة فأدى زكاة ماله كان على الله حق أن يسقيه من رحمته) •

وسميت هذه الحروف منفتحة لانفتاح ما بين اللسان والحنك الاعلى حتى لا يكون الصوت منحصرا بينهما بل منفتحا •

الاذلاق

الاذلاق : لغة هو حدة اللسان وطلاقته • والمذلقة مأخوذة من الذلق وهو الطرف •

واصطلاحا : هو سرعة النطق بالحرف لخروجه من طرف اللسان كاللام والراء والنون أو لخروجه من الشفتين كالفاء والباء والميم •

وحروف الذلق ستة هي (ب ر ف ل م ن) يجمعها فر من لب •

وسميت هذه الحروف مذلقة لسرعة النطق بها ولخروج بعضها من طرف اللسان وبعضها من ذلق الشفة •

الاصـمات

الاصمات : لغة هي المنع •

وفي الاصطلاح : امتناع حروفه من الانفراد اصولا في الكلمات الرباعية والخماسية فلا يتكون منها رباعي أو خماسي من غير أن يكون فيها حرف من حروف الذلاقة واذا لم يتم ذلك فالكلمة غير عربية ، وفعلوا ذلك لخفتها فعادلوا بها الثقيلة •

وحروفه ثلاثة وعشرون حرفا هي : (أ ت ث ج ح خ د ذ ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ك و هـ لا ي) يجمعها جزغش ساخط صد ثقة اذوغظه يحضك • أي (عد عن غش ساخط للحق واصطد ثقة فان وعظه يحثك على الخير) •

وانما سميت مصمتة لانها حروف منعت أن تختص ببنـاء كلمة في لغـــة العرب اذا كثرت حروفها لصعوبتها على اللسان لـذلك لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف أي اذا تجاوزت الثلاثة ، الا اذا كان معها غيرها من الحروف المذلقـــة .

الصفات التي لا ضد لها

أما الصفات التي لا ضد لها فهي كما ذكرنا من قبل سبعة : الصفير القلقلة ، اللين ، الانحراف ، التكرير ، النفشي ، الاستطالة ، وأدخل بعضهم معها الغنة.

الصــفير

الصفير : لغة صوت يشبه صوت الطائر وصفير صفيراً صوت بفمه وشفتيه .

واصطلاحا : صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصحب حروفه الثـلاثة عند خروجها وهي (ص س ز) الصاد والسين والزاي .

وانما سميت بالصفير لانك تسمع لها صوتا يشبه صفير الطائر لانها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك اذا سكنت ويأتي كالصفير .

ان الصاد تشبه صوت الأوز وان السين تشبه صـوت الجراد وان الزاي تشبه صوت النحل .

وأقوى هذه الحروف الصاد لما فيها من استعلاء واطباق ثم الزاي لكونهـا مجهورة ، ثم السين لكونها مهموسة .

القلقلـــة

القلقلة : لغة هي الاضطراب والتحرك .

وفي الاصطلاح : هي اضطراب مخرج الحرف عند النطق به ساكنا حتى يسمع له نبرة قوية .

ويشترط في اطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونه قويا جهرا بسبب انه حاصل بفك المخرج دفعة بعد لصقه لصقا محكما ولذا خصوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة التي تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج والجهر الذي يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج فيلتصق المخرج التصاقا محكما يقوى به الصوت الحادث عند انفتاح المخرج .

وكان هذا كله مدعاة الى الكلفة في بيان تلك الحروف .

وحروف القلقلة خمسة وهي (ب ج د ط ق) يجمعها قطب جد .

وسميت حروف قلقلة لأن القارىء اذا وقف عليها بالسكون تقلقل اللسان فيها عند خروجها حتى يسمع لها نبرة وهي في الوقف أبين من الاسكان بدون وقف . مثل : قريب بهيج مجيد محيط خلاق ، تقطعون يطمعون يبخلون يجعلون يدخلون .

وتنقسم القلقلة الى ثلاثة أقسام :

١ ـ أعلى : وهو الطاء .

٢ ـ وسط : وهو الجيم .

٣ ـ أدنى : وهو الباء والدال والقاف .

وان القلقة لازمة لهذه الاحرف الخمسة ولكنها في الموقوف عليه اقوى منها في الساكن الذي لم يوقف عليه ، وفي المتحرك قلقلة لكنها أقل فيه من الساكن الذي لم يوقف عليه .

ويجب بيانها في حالة الوقف اكثر من حالة الوصل خاصة اذا كان الحرف الموقوف عليه مشددا مثل الحق .

واذا كان الحرف في وسط الكلمة كانت القلقلة صغرى واذا كان الحرف في آخر الكلمة كانت القلقلة كبرى ، أي أشد وأقوى .

اللــــين

اللين : لغة ضد الخشونة أي التنعيم والسهولة •

واصطلاحا : هو اخراج الحرف في لين وعدم كلفة على اللسان •

واللين حرفان هما (و ي) الواو واليـــاء الساكنتان المفتوح مـا قبلهمـــا ويمدان حالة الوقف لا حالة الوصل •

وسميتا بذلك لجريانهما على اللسان في لين وعدم كلفة •

ومقدار مده يكون نسبة للسكون الذى يجىء بعد حرف اللين ويمد مثل مده نحو : صيف خوف •

ويكون وصف اللين في هـذين الحرفين عند مجانسة مـا قبلهما فتجرى الأوجه الثلاثة المد والتوسط والقصر •

الانحـــراف

الانحراف : لغة الميل والعدول •

واصطلاحا : ميل الحرف بعد خروجه الى طـــرف اللسان حتى يتصـــل بمخرج غيره •

والانحراف صفة لحرفين هما اللام والراء (ل ر) فهو صفة لازمة لهما لانحرافهما عن مخرجهما حتى يتصلا بمخرج غيرهما •

ان اللام فيها انحراف وميل الى ناحية طرف اللسان وانحراف من الرخوة التي هي صفته الى الشدة وغدا بين الصفتين •

وأما الراء فقد انحرفت عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج اليهـا الى مخرج اللام وهو أبعد عن مخرج النون من مخرجه فسمي منحرفا لذلك •

وقد سميتا بذلك لانحرافهما عـن مخرجهما فان اللام تميل الى طـــرف اللسان والراء الى ظهره قليـــلا وبعضهم يخص الانحراف باللام فقط والاول مذهب الجمهور •

التكرير

التكرير : لغة اعادة الشيء مرة بعد مرة •

واصطلاحا : ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف •

وهي صفة لازمة للراء ، فهذا الحرف قابل للتكرير ، وأكثر ما يظهر تكريره اذا كان مشددا نحو : كرة ، ومرة ، الا انه يجب التحرز عنه وأن يخفي القارىء تكريره ولا يظهره •

وطريق السلامة من ذلك كما قيل أن يلصق اللافظ به ظهر لسانه بأعلى حنكه اصقا محكما مرة بحيث لا يرتعد ، لأنه متى ارتعد حدث من كل مرة راء ، فهذه الصفة يجب أن تعرف لتجتنب لا ليؤتى بها •

وسميت بذلك لقبولها التكرير فهو صفة لها بالقوة لا بالفعل كقولهم لغير الضاحك بالفعل ضاحك بمعنى قابل للضحك •

وهذه الصفة يجب التحرز عنها لانها تجعل من الحرف المشدد حروفا •

التفشي

التفشي : لغة الانتشار والاتساع •

واصطلاحا : هو انتشار الريح من الفم عند النطق بالحرف حتى يتصل بمخرج غيره وللتفشي حرف واحد وهو الشين (ش) •

فعند النطق بالشين ينتشر الريح من الفم حتى يتصل بمخرج الظاء وهذا هو الأرجح عند العلماء •

وقيل : ان في الفاء والتاء والضاد والصاد والراء والسين تفشيا كذلك • فهذه الحروف (ف ت ض ص ر س) مشتركة في كثرة انتشار خروج الريح ، لكن ذلك الانتشار في الشين أكثر ولذا اتفق على تفشيه وفي البواقي المذكورة قليل بالنسبة اليه ولذا لم يصفها أكثر العلماء بالتفشي •

وسميت بذلك لانها لرخاوتها انتشرت في الفم حتى اتصلت بالظاء لكن هذا على سبيل التخيل لا الحقيقة ٠

الاســتطالة

الاستطالة : لغة الامتداد ٠

واصطلاحا : امتداد الصوت من أول احدى حافتي اللسان الى آخرها وله حرف واحــد هو الضاد (ض) وقد يمتد الضــاد في مخرجه الى أن يتصــل بمخرج اللام ٠

ويوجد فرق بين المستطيل والممدود فان للمستطيل مخـرجا لـه طـول في جهة جريان الصوت فجرى في مخرجه بقدر طوله ولـم يتجاوز وليس للمـدود مخرج فلم يجر الا في ذاته اذ المخرج المقدر ليس بمخرج حقيقة ، فـلا ينقطع الا بانقطاع الهواء ٠ لذلك سميت مستطيلة ٠

الغنــــة

الغنة : لغة صوت في الخيشوم ٠

واصطلاحا : صوت لذيذ يخرج من الخيشوم وهو أقصى الأنف وقد نص العلماء على انها من الصفات اللازمة وهو صوت أغن مجهور شـديد ٠ لا عمل للسان فيه ٠ وقيل : هو شبيه بصوت الغزالة اذا ضاع ولدها ٠

والغنة ثابتة في الميم والنون الا انها في المشدود أكمل منها في المـدغم وفي المدغم أكمل منها في المخفي وفي المخفي أكمل منهـا في الساكن المظهـر وفـي الساكن المظهر أكمل منها في المتحرك ٠ وتلك مراتب الغنة والظاهر منهـا في حالة التشديد والادغام والاخفاء هو كمالهـا ٠ وأما الساكن المظهـر والمتحرك فالوجود فيها أصلها ٠

الحروف الهجائية وصفاتها ومخارجها

أ ـ الجهر	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	المد
بـ الجهر	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	القلقلة
تـ الهمس	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
ثـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
جـ الجهر	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	القلقلة
حـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
خـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
دـ الجهر	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	القلقلة
ذـ الجهر	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
رـ الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	الانحراف التكرير
زـ الجهر	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	الصفير
سـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	الصفير
شـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	التفشي
صـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الاطباق	الاصمات	الصفير
ضـ الجهر	الرخوة	الاستعلاء	الاطباق	الاصمات	الاستطالة
طـ الجهر	الشدة	الاستعلاء	الاطباق	الاصمات	القلقلة
ظـ الجهر	الرخوة	الاستعلاء	الاطباق	الاصمات	
عـ الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
غـ الجهر	الرخوة	الاستعلاء	الانفتاح	الاصمات	
فـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	
قـ الجهر	الشدة	الاستعلاء	الانفتاح	الاصمات	**القلقلة**
كـ الهمس	الشدة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
لـ الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	الانحراف
مـ الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	الغنة
نـ الجهر	التوسط	الاستفال	الانفتاح	الاذلاق	الغنة
وـ الجهر	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	اللين
هـ الهمس	الرخوة	الاستفال	الانفتاح	الاصمات	
يـ الجهر	الرخوة	الاستفال	الاطباق	الاصمات	اللين

التفخيم والترقيق

ان للحروف ثلاث حالات : ما يفخم مطلقا ، وما يرقق مطلقا وما يفخم في حال دون حال .

والتفخيم : لغة التسمين .

واصطلاحا : هو تسمين الحرف وتغليظه حتى يمتلىء الفم بصداه فيخرج سمينا وفي الصفة قويا .

والتفخيم والتسمين والتغليظ والتجسيم بمعنى واحد .

وحروف التفخيم سبعة وهي (خ ص ض ط ظ غ ق) مجموعة في أوائل هذه الكلمات :

قد غلا خل صفي   ضارع طابت ظلاله

ومراتب التفخيم خمسة :

أعلاها المفتوح بعده ألف ، نحو : طائعين ، لأن الطاء من حروف الاطباق التي هي (ص ض ط ظ) .

ثم المفتوح وليس بعده ألف نحو : طلبا ، صبر .

ثم المضموم : نحو فضرب ، طيح .

ثم الساكن نحو : فاقض ، يطبع .

ثم المكسور نحو : خيانة ، بطرت .

والترقيق : لغة التخفيف .

واصطلاحا : هو نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلىء الفم بصداه . ويخرج الحرف نحيفا وفي الصفة ضعيفا .

وحروفه احدى وعشرون حرفا ما عدا حروف الاستعلاء وهي (أ ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ع ق ك ل م ن و هـ ى) .

كما ان الحروف الهجائية تنقسم الى قسمين : حروف استعلاء وحروف استفال .

وأما حروف الاستعلاء فكلها مفخمة وهي سبعة (خ ص ض ط ظ غ ق) يجمعها خص ضغط قظ .

وأما حروف الاستفال فكلها مرققة ولا يجوز تفخيم شيء منها الا الراء واللام في بعض أحوالهما كما سيأتي والا الامف المدية فأنها تابعة لما قبلها .

وان أسباب الترقيق ثلاثة : الكسرة والياء والاماله .

فالكسرة سبب أصلي للترقيق ثم الياء لأنها بنت الكسرة فهي بمنزلة كسرتين ثم الامالة لانها تستدعي تسفل اللسان عند النطق .

وأما الذي يفخم في حال دون حال فالراء واللام .

أما الألف اللينة : فلا توصف بتفخيم ولا ترقيق بل تتبع ما قبلها تفخيما وترقيقا .

وأما لام الجلالة : فترقق بعد الكسر مثل : بسم الله ، الحمد لله ، أو ساكن بعد مكسور مثل : وينجني الله ، أو بعد تنوين : قوما الله .

وتفخم بعد الفتح والضم مثل : رسل الله قال الله ، لانهما يستعليان في الحنك .

وقد ذكر بعض العلماء أطباق القراء على ترك تغليظ اللام في نحو : بسم الله والحمد لله لان الكسرة توجب التسفل واللام المفخمة حرف مستعلى يوجب التصعد والانتقال من التسفل الى التصعد ثقيل وانما استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من هذا الاسم اذا تقدمتها فتحة أو ضمة .

ثم ان التفخيم مشعر بالتعظيم وهذا الاسم يستحق المبالغة في التعظيم .

وان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان ، واللام المفخمة بكل اللسان فكان العمل فيه أكثر .

ثم ان الحرف المرقق قد تتغير ذاته بالتفخيم بحيث يشعر السامع اذا سمع المرقق أولا والمفخم ثانيا بأن الثاني غير الاول كما في السين والصاد والـــذال والظـــاء •

حكم الــراء

لقد بين العلماء ان الراء أما أن تكون متحركة أو ساكنة والمتحركة أما أن تكون مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ذلك وصلا أو وقفا •

والساكنة أما قبلها فتحة أو ضمة أو كسرة والكسرة أما متصلة أو منفصلة والمتصلة أما أصلية أو عارضة والاصلية أما بعدها حرف استعلاء في كلمة أولا • فجملتها اثنتا عشر صورة •

وللراء ثلاث حالات : التفخيم ، والترقيق ، وجواز الحالتين •

أما التفخيم فهو الاصل في هذا الباب • ويكون في المواضع التالية :

تفخيم الراء اذا كانت مضمومة أو مفتوحة ســواء وقعت أولا أو وسطاً أو آخرا نحو عرفات وعرفات ونور ونورا وروح ، وروحا •

وتفخم الراء كذلك اذا كانت ساكنة وما قبلها أما مضموم أو مفتـــوح نحو : القرآن ، والقربى والارض ، والبرق •

ثم الراء الساكنة اما أن تكون في أول الكلمة بعد همزة الوصل أو في وسط الكلمة أو في الطرف •

فأن كانت في أول الكلمة فخمت سواء وقعت بعـد فتح نحو : ورزقنـــا أو وقعت بعد ضم نحو : أركض برجلك على أن يكون الفتح بعد حرف عطـف ويكون الضم بعد همزة الوصل •

وتكون أيضا مفخمة بعد كسر عارض غير لازم متصل أو منفصل نحو : أم ارتابوا ، أرجعوا كما تفخم أن وقع بعدها حرف استعلاء في كلمتها نحــو : قرطاس مرصاد •

وتفخم اذا كانت الكسرة والراء في كلمة واحدة نحو : رب ارجعون •

وترقق الراء : اذا كانت مكسورة سواء كانت الكسرة أصلية نحو : رجال ، ورضوان أم كانت عارضة نحو : وأنذر الناس وسواء كانت وسطاً أم طرفا منونة أم غير منونة وسكن ما قبلها أم تحرك •

فمثال الوسط : فرح واردهم ، أترفوا •

ومثال الطرف : فاطر ، بقدر •

ومثال المنون : شجر ، مغرور ، هار •

ومثال الساكن ما قبلها : لا يجرمنكم ، يعرشون ، اكرمي مثواه •

ومثال المتحرك ما قبلها : شرعة ، مريه •

وكذلك ترقق ان كانت في الوسط ساكنة وكانت بعد كسر اصلي المتصل بها ولم يقع بعدها حرف استعلاء في كلمتها نحو : فرعون وشرذمة •

أما ان كان حرف الاستعلاء في كلمة والراء في كلمة أخرى فترقق نحو : ولا تصعر خدك فأصبر صبرا جميلا •

وكذلك ترقق اذا سكنت الراء في الاخر ووقع بينها وبين الكسر ساكن غير حرف الاستعلاء نحو : الذكر •

وترقق أيضا اذا وقعت بعد ياء ساكنة مثل خبير ، وقد ير ويرقق كذلك اذا وقعت بعد كسر مثل منذر •

ويجوز التفخيم والترقيق اذا كان حرف الاستعلاء الواقع بعد الراء في كلمتها مكسورا وذلك في مثل : كل فرق •

فمن نظر الى وجود حرف الاستعلاء فخم ومن نظر الى كونه مكسورا رقق الراء •

واذا كان الساكن الفاصل بين الراء وبين الكسر صادا أو طاء جاز الترقيق والتفخيم مثل : مصر ، وقطر • وقد اختير التفخيم في راء مصر ، والترقيق في راء قطر •

وحروف الاستعلاء كما ذكرناها من قبل سبعة مجموعة في (خص ضغط قظ) •

أحكام الميم الساكنة

اذا وقع بعد الميم الساكنة أحد حروف الهجاء يكون لها ثلاثة أحوال •

١ ـ اذا لاقت الميم الساكنة باء موحدة تكون الميم مخفاة بغنة ويسمى اخفاء شفويا لخروج حرفه من الشفة مثل : يوم هم بارزون •

ووجه الاخفاء : انهما لما اشتركا في المخرج وتجانسا في بعض الصفات ثقل الاظهار والادغام المحض فعدل الى الاخفاء •

لان ما بين شفتين مخرج الباء والميم وان بين الميم والباء تجانس في بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح والاذلاق •

٢ ـ اذا لاقت الميم الساكنة ميما أدغمت الاولى في الثانية بحيث تصيران ميما واحدة مشددة نحو : خلق لكم ما في الارض •

ويسمى أيضا ادغام مثلين صغير ، لان الادغام قسمان كبير وصغير •

فالكبير : ما كان الحرفان فيه متحركين وذلك في مثل : ما سلككم في سقر •

والصغير : ما كان الاول فيه ساكنا والثاني متحركا نحو قل لا •

وسمي الاول كبيرا لكثرة العمل فيه والثاني صغيرا لقلة العمل فيه •

وذلك ان الحرفين اللذين يراد ادغام سابقهما في التالى ان كانا مثلين ، فثم عمل واحد في الصغير وهو ادخال الاول في الثاني بأن ينطق به بلا فصل ما • كما يلزم الاتيان بكمال التشديد واظهار الغنة في ذلك •

٣ ـ اذا لاقت الميم الساكنة حرفا غير الميم والباء يكون النطق بالميم ظاهرا على غير غنة ويكون في كلمة نحو : تمسون ، أو في كلمتين نحو : لهم فيها ويسمى هذا اظهارا شفويا •

وتكون الميم أشد اظهارا عند ملاقاتها للواو والفاء نحو : أيديهم وما خلفهم ولا هم فيهــا •

لأن الميم متحدة مع الواو في المخرج وهو ما بين الشفتين وقريبة من الفـاء فيه لان مخرج الفاء من باطن الشفة السفلى لذلك كان اظهارهما أكد خشـية من سبق اللسان الى الاخفاء لذلك حذروا من اخفائهما •

ولقد أتفق القراء على ادغام ذال اذ بالذال والظاء نحو : اذ ذهب اذ ظلموا ، وادغام دال قد في الدال والتاء نحو : قد دخلوا ، قد تبين وادغام تاء التأنيث فـي التاء والدال والطاء نحو : فما ربحت تجـارتهم ، أجيبت دعوتكما ، آمنت طائفــة •

وادغام لام قل وهل وبل في اللام والراء نحو : قل للذين • هـل لكم • بل لا ، قل ربي بل ربكم •

السـكتات

السكتة : هي قطع الصوت عن القراءة زمنا يسيرا مقدار حركتين بـدون تنفــس •

وقد جاءت السكتة في أربعة مواضع من القرآن الكريم •

١ ـ في سورة الكهف : (ولم يجعل له عوجا قيما) ، فأن السكتة لبيان ان ما بعده وهو قوله «قيما» ليس متصلا بما قبله بل هو منصوب بفعل مضر أي أنزل أو هو حال من الكتاب •

٢ ـ وفي سورة ياسين (من مرقدنا هذا) فان السكتة لبيان ان كلام الكفار قـد انقضى وما بعده هو قوله (هذا ما وعدنا الرحمن وصدق المرسلون) ليـس من كلامهم بل هو من كلام الملائكة أو المؤمنون • وقيل هو لدفـع توهـم ان هذا صفة مرقدنا مع انه كلام مستأنف •

٣ ـ في سورة القيامة (من راق) وكذلك في سورة المطففين (كلا بل ران) فأن السكتة على (من) في الاول وعلى (بل) في الثاني لبيان ان كلا منهما مــع

ما بعده ليس بكلمة واحدة بل كل منهما مع ما بعده كلمتان اذ عندالوصل وعدم السكت يدغم النون واللام في الراء التي بعدهما فيتوهم ان كلا منهما مع ما بعده كلمة واحدة على صيغة فعال •

وباقي القراء لا يسكتون على شيء من ذلك واما هاء (هلك ماليه) • فالسكت جائز لكل القراء •

٤ ـ سورة المطففين : (بل ران) •

الفـات

تثبت وقفا وتحذف وصـلا

ورد في القرآن الكريم كلمات بآخرها ألف الا انها ثبتت وقفـا وتحذف وصلا • كقوله تعالى (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) في سورة الكهف فألـف المتكلم وهو (أنـا) تثبت عند الوقف عليه وتحذف عند الدرج • وكقوله تعالى في سورة الكهف أيضا (لكنا هو الله ربي) فأن الف لكنا تثبت وقفا وتحـذف وصـلا •

وكقوله تعالى في سورة الاحزاب أيضا (وتظنون بالله الظنونا) فأن ألـف الظنونا تثبت وقفا وتحذف وصلا •

وكقوله تعالى في سورة الاحزاب أيضا (وأطعنا الرسولا) فان ألفالرسول تثبت وقفا وتحذف عند الدرج •

وكقوله تعالى في سورة الاحزاب أيضاً (فأضلونا السبيلا) ، فألف فأضلونا تثبيت وقفا وتحذف عند الدرج •

وكقوله تعـالى في سـورة الدهر (كانت قواريرا) فألف قواريرا تثبت وقفا وتحذف وصلا •

وكقوله تعالى في سورة الانسان (انّا اعتدنا للكافرين سلاسل) فانه في سلاسلا حذف الالف واثباتها في الوقف ويجب حذفها وصلا

فوائد تلاوية تتعلق بأواخر الكلم

للعلماء أقوال كثيرة في الوقف على آخر الكلم ، ولكن المستعمل منها عند القراءة تسعة هي السكون ، والروم ، والاشمام ، والابدال ، والنقل ، والادغام ، والحذف والاثبات والالحاق .

واليكم ملخص ما ذكره العلماء في تفصيل ذلك .

١ ـ أما السكون : فهو الاصل في الكلم المتحركة الاواخر اذا وقف عليها وذلك بأخلاء أواخرها من الحركات كلها لان السكون أخف من الحركات وأبلغ في تحصيل الاستراحة كذلك كان أصلا وجعله بعضهم واجبا شرعيا ولا يوقف على متحرك .

٢ ـ أما الروم : فهو النطق ببعض الحركة . وقيل : هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فيسمع لها صوت خفي يسمعه القريب المصغى دون البعيد ، لان في آخر الكلمة صوتا خفيفا وهو لا يضبط الا بالمشافهة وهي المخاطبة بالشفة الى الشفة .

ولا يكون في المفتوح والمنصوب على الاصح ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب .

وانما سمي روما لانك تروم الحركة وتريدها حين لم تسقطها بالكلية .

٣ ـ أما الاشمام فهو أن تضم شفتيك بعيد الاسكان اشارة الى الضم ويدع بينهما بعض انفراج ليخرج منه النفس ، ولابد من اتصال ضم الشفتين بالاسكان ولا يدرك لغير البصير .

والمراد من الاشمام الفرق بين ما هو متحرك في الاصل وعرض سكونه للوقف وبين ما هو ساكن في كل حال .

وان الاشمام يطلق على أربعة أنواع :

أحدها : ضم الشفتين بعد اسكان الحرف عند الوقف .

ثانيها : إخفاء الحركة بين الحركة والساكن كما في قوله (لاتأمنا) •

ثالثها : خلط حرف بحرف ، كخلط الصـــاد بالزاى في نحو الصراط ومصيطر ويصدر لمن يشمها •

رابعها : خلط حركة بحركة أخرى ، كخلط الكسرة بالضمة في نحو : قيل وغيض وجيء •

والأشمام : مأخوذ من الشم ، فكأنك أشممت الحرف رائحة الحركـــة يجعل الفم على الصورة التي تعرض عند التلفظ بها •

وقد ذكر العلمـاء ان الروم والاشمـــام لا يدخلان في خمسة مواضع وهـــي :

ما كان ساكنا في الحالين نحو (فلا تنتهر) •

وحروف المد نحو (قالـوا) •

وميم الجمع نحو (عليهم وعليكم وبهم) •

أو عارض الشكل نحو الحركة العارضة في الوصل لثقل أو التقاء ساكنين نحو (وانحر ان •• ومن أوتى •• وقل الحق) •

وتاء التأنيث نحو (المنخنقـة والموقوذة) مارسم في مصحف الأم بالهـــاء •

وانما يوقف على جميع ذلك بالسكون أما الساكن وحرف المد فالحركـــة فيها معدومة والروم والاشمام لا يدخلان الا في المتحرك •

وأما ميم الجمع فأن كانت متحركة وصلا نحو (قال لهم الناس) فـــلا يدخلانها لان حركتها عارضة ، وان كانت ساكنة فكذلك لانهما لا يدخـــلان الا في المتحرك •

وأما الحركة العارضة لالتقاء الساكنين نحو (وانذر الناس) فلا يدخلانها لان الحركة انما عرضت لساكن لقيه حالة الوصل وزالت في الوقف لذهاب المقتضى فلا يعتد بها وكذلك ما عرضت للنقل نحو (قد اوحى) •

أما هاء التأنيث فلانها مشبهه في الوقف بألف التأنيث فالسكون لازم لها كالالف وهي لاحظ لها في الحركة فكذلك ما أشبهها •

أما هاء التأنيث المرسومة تاء في مصحف الامام نحو (رحمت ونعمت وبقيت) فيدخلها الروم والاشمام عند من وقف عليها بالتاء لانها بمنزلة الدال من زيد •

أما هاء الضمير ففيها خلاف فذهب كثير من أهل الآداء الى جواز رومها واشمامها مطلقا كبقية الحروف لانها مثلها وان كانت خفية • وفصل آخرون فمنعوا الروم والاشمام اذا كان قبلها ضم نحو (يخلقه) أو واو ساكنة نحو (بشروه) أو ياء ساكنة نحو (فيه واليه) أو كسر نحو (به) •

ووجه المنع أن الهاء لما كانت خفية وكانت حركتها من جنس حركة ما قبلها صارت كأنها موقوف عليها وكان ما قبلها هو آخر الكلمة فتركوا الروم والاشمام ووقفوا بالاسكان استغناء بحركة ما قبلها وأجازوا رومها اذا كان قبلها فتح نحو (خلقه) أو سكون نحو : (عنه ، واجتباه)لانتفاء المانع •

٤ ـ أما الابدال : فهو ابدال حرف بآخر كأبدال التاء المجرورة هاء لمن يقف بها على الكلمات اذا كانت مفردة مثل : يا أبت ، ومرضاة ، وذات بهجة ، والازقة ، والصلاة ، والزكاة ، ودعوة ، وسكرة والوقف في الاسم المنصوب المنون فأنه يوقف عليه بالالف بدلا من التنوين نحو : سميعا عليما •

وابدال حرف المد من الهمزة المتطرفة بعد الحركة وبعد الالف نحو : بدأ •

٥ ـ أما النقل : فهو الذي ينقل من حركة الهمزة الى الساكن ما قبلها وقفا نحو : دفء ، وجزء •

٦ ـ أما الادغام : فهو ما يدغم من الواوات والياءات في الهمزة بعد ابداله وذلك نحو : النسيء ، وبريء •

٧ ـ أما الحذف : فهو الذي يحذف من الياءات الثوابت وصلا وهي الياءات التي لم ترسم نحو : الـد •

٨ ـ أما الاثبات : هو ما يثبت من الياءات المحذوفات وصلا عند من يثبتها وقفا نحو : هاد (هادى) ووال (والى) وواق (واقى) •

واذا كان ما بعدها ساكن حذفت في الوصل وثبتت في الوقف لعدمه نحو : ولا تسقى الحرث ، ويؤتي الحكمة ، ويربي الصدقات •

٩ ـ أما الالحاق : فهو أن تلحق آخر الكلمة هاء السكتة عند من يلحقها وذلك مثل عم (عمه) ومم (ممه) وهن (هنه) •

القراءات

القراءات : هي نوع من التلاوة توافق لغة العرب ولو من وجه ، وقد تواتر سندها ووافقت أحد المصاحف العثمانية • والتي لم توافق لغة العرب ولم يتواتر سندها ، ولم توافق أحد المصاحف العثمانية فليس بقرآن •

لقد نزل القرآن بسبعة أحرف تنتظم جميع اللغات العربية وهي متلقاة عن النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفة على السماع •

روى البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وأبو داود ومالك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أن أساوره في الصلاة فتربصت به حتى سلم فلببته بردائي فقلت له : من أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت فأنطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم تقرئنيها فقال : أرسله ، اقرأ يا هشام فقرأ القراءة التي سمعت يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي اقرأني ، فقال رسول الله هكذا أنزلت ، ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه •

وروى الامام البخاري في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف .

وانما أنزل القرآن على هذه الاحرف تيسيرا على الامة لاختلاف لهجاتها ، كأن يكون الحرف المرموز له بألف . (أ) تيسيرا على أهل الشمال من قضاعة وجاراتها ، والحرف (ب) مثلا تيسيرا على هوازن . (ح) تيسيرا على تميم . وهلم جرا في بقية الحروف الا أن هذا لغة قضاعة أو ذاك لغة هوازن ، أو الآخر لغة التميميين ، وأوضح مثال لذلك هذه العربية التي نتعلمها ونتكلم بها اليوم ، فانما هي حرف أو نخبة من لغات الجزيرة العربية كلها لا تختص بقريش ولا كنانة ولا تميم ولا هذيل . فالحرف في القراءات قراءة أو لغة على هذا المثال .

هذه الاحرف يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم فيقرأ كل قاريء ما يناسبه منها وما يناسبه يقدر عليه ، فمنهم من يقرأه على حرف واحد ومنهم من يقرأه على حرفين ومنهم من يستطيع أن يتلقى جميع الحروف كزيد بن ثابت رضى الله عنه[1] .

ولا شك ان من نظر الى ذلك كله وعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب جميع قبائل العرب وفيهم الشيخ الفاني والغلام والخادم وضعيف الادراك وسيء الحفظ ومتلعثم اللسان ، وانه كان يعلمهم جميعاً القرآن كل قوم بلغتهم ، ولا داعي لتعليمهم بمشقة الانتقال عنها بل يرى ذلك من الحكمة تسهيلا عليهم واستمالة لنفوسهم الابية وتوسيعا لطريق الدين في وجه من يريد الدخول فيه ، غاية الامر انه يلزم أن لا يكل ذلك لاختيارهم لئلا يختلف التعبير عنه بأختلاف الافهام أو تلاعب الاوهام ، وليس يليق بفعل الله وهو أحكم الحاكمين

(١) الهداية الاسلامية .

أن يكلف العرب أن يتعلموا لغة قريش مثلا ثم يجيئوا للنبي بعد ذلك ليأخذوا عنه القرآن[1] •

واللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش هي : لغة بني سعد ، وثقيف وخزاعة وهذيل ، وكنانة ، وأسد ، وضبه • ثم قيس واكنافها ، وهم يسكنون وسط الجزيرة •

اختلاف القراءات

قال ابن الجوزى : تتبعت صحيح القراءة وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة أوجه لا يخرج عنها وذلك :

١ ـ أما في الحركات بلا تغيير بالمعنى والصورة نحو : (البخل) بأربعة و (يحسب) بوجهين •

٢ ـ أو بتغير في المعنى فقط نحو : فتلقى آدم من ربه كلمات وادكر بعد أمة وأمه[2] •

٣ ـ وأما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو : تبلوا وتتلوا ، وننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ، وننحيك ببدنك •

٤ ـ أو بالعكس نحو : بصطة وبسطة ، والصراط والسراط •

٥ ـ أو بتغيرهما نحو : أشد منكم ومنهم ، ويأتل ويتأل •

٦ ـ أو في التقديم والتأخير نحو : فيقتلون ويقتلون ، وجاءت سكرت الحق بالموت •

٧ ـ أو في الزيادة والنقصان نحو : وأوصى ووصى ، والذكر والانثى • ثم قال: وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر (الخ) فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا •

---

(١) الجوابُ المنيف للدجوى •

(٢) وأمة اي نسيان •

وقال العلامة موسى جار الله في كتابه (ترتيب السور وتناسبها فى النزول وفي المصاحف) ما أليك ملخصه :

ثبت ثبوتا لا ريب فيه أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (فأقرؤا ما تيسر منه) متفق عليه • روى الحاكم في المستدرك (١ ، ٥٥٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه فقيه الصحابة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : ان الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد ، على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجرا آمرا ، محللا ، محرما ، محكما ، متشابها ، أمثالا ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وأفعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، وأعتبروا بأمثاله وأعملوا بحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب • وعن الحسن عن سمرة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال : انزل القرآن على ثلاثة (المستدرك ٢ ، ٢٢٣) •

فحديث عبدالله بن مسعود فقيه الصحابة في المستدرك (١ ، ٥٥٣) بين أن القرآن الكريم له منجهة معانيه وجوه سبعة هي أنواع الكلام على ما أحصاها بالتفصيل والتسمية ، وبين أن القرآن الكريم له من جهة نظمه وجوه سبعة ولم يحصها فقيه الصحابة ابن مسعود بالتفصيل والتسمية كما احصى بالتفصيل وجوه المعاني •

فكثر في معنى الاحرف السبعة لأهل العلم أقوال تزيد على أربعين ضاع فيها معنى الحديث السهل الجليل وخسف بها وجه الحديث الجميل •

فان حديث الاحرف السبعة انما ورد في حادثة اختلاف الصحابة الكرام رضى الله عنهم في حروف القرآن الكريم ولم يكن بين الصحابة الكرام اختلاف الا في الوجوه الادائية ولم يذكر في حديث أصلا ان النبي الكريم أنكر حرفا قرأه صحابي بل كان يقر كل صحابي على ما قرأه •

والوجوه الادائية في كلمات اللغة العربية ثابتة بطبيعة اللغة •

اقرها الله في كلمات كتابه الكريم واريد ان اجمل الوجوه الادائية اجمالا يغني عن كل التفاصيل ويستغنى عن كل شرح وتحشيه في فصل مختصر

الوجوه الأدائيـة

الوجوه الادائية في كلمات الكتاب الكريم قسمان :

١ ـ كليات يعبر عنها اهل العلم بالاصول •

٢ ـ جزئيات يعبر عنها أهل العلم بفرش الحروف •

والكليات والاصول كثيرة تفصيلها في كتب اللغة وكتب الصرف والنحو وكتب القراءة منها :

١ ـ الأدغام : باسكان الاول والبيان والفك بتحريك الاول في كل حرفين مثلين أو متقاربين التقيا في كل كلمة أو في كلمتين •

والادغام والبيان والفك جائزان في كل مجزوم من مضاعف المضارع والامر مثل : ومن يشاقق الله ، ومثل : من يرتد منكم عن دينه ، ومن يرتدد منكم عن دينه •

٢ ـ الامالة والفتح وبين بين ثلاثة من الوجوه في الالفات تمال الى الياء فتميل الفتحة قبل الالف الى الكسر •

للأمالة واختيها أبواب واسعة في كتب الصرف وكتب القراءة • وللأمالة واختيها وجه لغوي محض لا دخل لها في المعاني أصلا الا في أمثال كلمة آنية فأن أملناها فهي مدة فاعلة والمدة تمال ، وان لم ، نملها فالمدة فاء افعله ، وفاء الفعل لا تمال وهذه دقة لطيفة لذيذة يذوقها لسان البدوي فيقول الكتاب الكريم (تسقى من عين آنية) وفي قول الله (ويطاف عليهم بآنية من فضة) وأن غفل عنها لسان الحافظ القاريء المجود •

٣ ـ الهمزة والتسهيل بحذف الهمزة ، وبقلبها وبتليينها ، لأهل العلم في الهمزة وهيمات •• والهمزة هي أول حرف يحدث في أقصى جهاز الكلام •

٤ ـ تحريك ياء الاضافة ياء المتكلم واسكانها (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) وهذه الياءات الثلاث فيها التحريك بالفتح وفيها الاسكان .

٥ ـ اثبات الياء الزائدة وحذفها فحذف الياء والاجتزاء بالكسر واثبات الياء واشباع الكسر وجهان لغويان جائزان جوازا عموميا في كل كلمات الكتاب الكريم والكلمات التي في آخرها ياء في الكتاب الكريم كثيرة .

وجميع المحذوفات في المصاحف (١٢١) .

٦ ـ الترقيق والتفخيم في اللام والراء ، واتفقت اللغة والقراءة على تفخيم لامين اسم الجلالة بعد الضم وبعد الفتح ، والامام ورش قد يفخم اللام بعد الصاد وبعد الطاء وبعد الظاء .

٧ ـ اذا اجتمعت همزتان فتحقيق الهمزتين أو الاكتفاء باحداهما أو زيادة المدة بينهما وجوه في اللغة ثبتت في الكتاب الكريم .

٨ ـ الافصاح والاختلاس والاشباع في الحركات الاعرابية والبنائية .

٩ ـ الوجوه الخمسة في الضمير الغائب المفرد والوجوه العشرة في (هم) .

١٠ـ الوقف ووجوهه وللوقف أحد عشر وجها ثبت في الكتاب الكريم أكثرها .

١١ـ المد بدرجاته والقصر .

١٢ـ قصر الممدود ومد المقصور .

كل هذه كليات الوجوه الأدائية وأصول الوجوه الأدائية .

أما جزئيات الوجوه الأدائية وفرش الحروف فهي كما يلي :

١ ـ اعراب وبناء : في مثل قوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) باعراب الأولين .

٢ ـ وجوه صرفية : مثل (مالك يوم الدين) بالمد (ملك يوم الدين) بالقصر (ويجي من حي عن بينة) بالادغام (ويحيى من حي عن بينة) بالفك والبيان .

٣ ـ وجوه نحوية : مثل (فتلقى آدم من ربه كلمات) بتبادل الرفع والنصب ، والمعنى في الوجهين واحد ، ومثل ألا ينال عهدى الظالمين .. لا ينال

عهدي الظالمون) والمعنى واحد . ومثل (وأرجلكم .. وأرجلكم) والمعنى مختلف .

واختلاف الوجوه الادائية الكلية لا يختلف به معنى الكلمة ولا معنى الآية.

أما اختلاف الوجوه اللغوية والصرفية والنحوية فقد يختلف باختلافها معنى الآية .

أما اختلاف الوجوه اللغوية والصرفية والنحوية فقد يختلف باختلافها معنى الكلمة ومعنى الآية وكل المعاني مقصود من الكلام للقائل .

وقال العلامة محمد الخضر حسين في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي): واختلاف القراءآت على نوعين :

أولهما اختلاف القراءتين في اللفظ مع اتفاقهما في المعنى ومن هذا النوع ما يرجع الى اختلاف اللغات كقراءتي (اهدنا الصراط) بالصاد أو (اهدنا السراط) بالسين الى ما يشاكل هذا من نحو الاظهار والادغام والمد والقصر ، أو تحقيق الهمز وتخفيفه ، والحكمة في هذا تيسير تلاوته على ذوي لغات مختلفة فلو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عنه لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا اشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ثم لم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للبيان وقطع للعادة . فأراد الله عز وجل بلطفه ورحمته أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات .

ومن هذا النوع ما لا تختلف فيه اللغات وانما هما وجهان ، أو هي وجوه تجري في الفصيح من الكلام نحو : (وما عملت أيديهم) و (ما عملته أيديهم) وهذا النوع وارد على سنة في صرف عنايتها الى المعاني ونظرها الى الالفاظ نظر الوسائل فلا ترى بأسا في ايراد اللفظ على وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذى يقصد بالخطاب باقيا في نظمه ومأخوذا من جميع أطرافه وفي هذا توسعه على القارىء وعدم قصره على حرف ولا سيما حيث كان محجورا عليه أن يغير الكلمة عن القرآن ويحيد بها عن وجهها المسموع .

ثانيهما : اختلاف في اللفظ والمعنى مع صحة المعنيين كليهما وحكمة هذا

أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لافادة المعنيين جميعا كاختلاف قراءتي (مالك يوم الدين) بالألف و (ملك يوم الدين) بغير ألف فقد أفادت احدى القراءتين ان الله مالك يوم الدين يتصرف فيه كيف يشاء وأفادت الاخرى انه ملكه الذي يحكم فيه بما يريد •

أما اختلاف اللفظ مع تضاد المعنيين فهذا لا أثر له في القرآن قال محمد بن قتيبة في مشكل القرآن :

الاختلاف نوعان : اختلاف تغاير واختلاف تضاد •

فاختلاف التضاد لا يجوز ولست واجده بحمد الله في شيء من كتاب الله

واختلاف التغاير جائز ثم ضرب لهذا النوع من الاختلاف أمثلة من الآيات وان في جوازه على ناحية ان كلا من المعنيين صحيح ، وان كل قراءة بمنزلة آية مستقلة ولا جرم أن يكون هذا الاختلاف فنا من فنون الايجاز الذي سلكه القرآن في ارشاده وتعليمه •

قال الاشموني في كتابه (منار الهدى) : ولا شك ان القبائل كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يترجم لكل أحد بحسب لغته فكان يمد قدر الألف والألفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، وكان يفخم لمن لغتـــه كذلك ، ويرقق لمن لغته كذلك وأما ما يفعله قراء زماننا من ان القارىء لكل آية يجمع ما فيها من اللغات فلم يبلغنا وقوعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه قال الشعراني في الدرر المنثورة في بيان فريدة العلوم المشهورة •

وان أول من اقتصر على جمع قراءة السبعة المشهورة أثناء المائة الرابعـــة أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المتوفي سنة (٣٢٤هـ) •

واختلاف القراء اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض ، فان هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى •

وقال الطحاوي : انما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخـذ القرآن على غير لغاتهم لانهم كانوا أميين لا يكتب الا القليـل منهم فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول الى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيء له الا

بمشقة عظيمة فوسع لهم في اختلاف الالفاظ اذا كان المعنى متفقا فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها •

قال ابن عبد البر : فبان بهذا ان تلك السبعة الأحرف انما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد •

قال ابن الحاجب في مختصره : القراآت السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد والامالة وتخفيف الهمز ونحوها •

ولو لم تكن لكن بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما وتخصيص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما •

وقال صاحب التقرير والتحبير : قراءة السبعة ما كان منها قبيل الأداء بأن كان هيئة اللفظ يتحقق بدونها ولا تختلف خطوط المصاحف به كالحركات والادغام بالمثلين والمتقاربين وهو ادراج الأول منهما ساكنا في الثاني والاشمام والروم والتفخيم والامالة والقصر وتخفيف الهمزة وأضدادها من الفك وعدم الادغام وعدم الروم والترقيق وعدم الامالة والمد وتخفيف الهمزة لا يجب تواترها وخلاف ما كان من قبيل الاداء من ما اختلف بالحروف (كملك) المنسوب قراءته الى من عدا الكسائي وعاصما (ومالك) المنسوب قراءته اليهما ثم قال : وقد نظر العلامة الشيرازي في كون ما من قبيل الاداء كالحركات لا يجب تواتره بخلاف ما كان ، لأن الحركات وما معها أيضا قرآن •

لنا في ان ما من قبيل الاداء انه قرآن فوجب تواتره ضرورة أن جميع القرآن متواتر اجماعا لكون العادة قاضية به •

قال المخالف : هذه القراءآت آحاد لانها منسوبة الى سبعة نفر ، والتواتر لا يحصل بهذا العدد فيما اتفقوا عليه فضلا عن ما اختلفوا فيه •

أجيب : بأن نسبة القراءات السبع اليهم لاختصاصهم بالتصدي للاشتغال بها واشتهارهم بذلك لا لانهم النقلة لها خاصة ، بمعنى ان روايتهم مقصورة

عليهم ، بل عدد التواتر موجود معهم في كل طبقة الى أن ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في كتاب الجمع الصوتي الاول للقرآن الكريم ما ملخصه :

ان الذين رووا القراآت هم أصحاب رسـول الله الذين تلقوا القرآن عن النبي نفسه ولجمعهم صفتي الصحبة والتلقي يجب أخذ ما رووه بالقبول . لأنهم كما قال عمر بن الخطاب انه سيأتي ناس يجادلونكم شبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

فالقراءة سنة متبعة ، وليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرد ولم تقع القراءات بالتشهي وانما هي بالسماع عن النبي .

وذكر العلماء ان القراءات التي يقرأ بها منذ الجمع العثماني انما اختلف القراء فيها لأن أهل كل ناحية تثبتوا على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امتثالا للجمع العثماني الذي أجمع عليه المسلمون .

وقد قال اناس ان فكرة القراءات نشأت بعد ظهور الشكل والنقط وهـذا يترك أمر قراءة القـرآن للاجتهـاد لا للتلقي لتعرض نصوصـه للاختلاف والتحريف ، وكيف يجتهد مسلم في هذا القرآن اجتهادا يؤدي الى تبديل شيء منه والتبديل لا يقدم عليه الا ملحد كافر بالاسلام .

ان المسلمين لم يعتمدوا في نقل القرآن على خط المصاحف وانما اعتمـدوا على حفظ القلوب والصدور وقد عد ذلك من أشرف خصائصهم . وجاء في صفتهم أناجيلهم في صـدورهم بخلاف أهـل الكتاب الذين لا يحفظونه الا في الكتب ولا يقرؤونه كله الا نظرا لا عن ظهر قلب وروت السنة ان الله تعالى قال لنبيه : انما بعثتك لأبتليك ، وابتلى بك ، وأنزلت كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظـان .

والاستقراء الموضوعي يؤدي الينا انه لم ينقل عبر القرون كتاب سماوي أو غير سماوي بالتواتر القطعي والاسناد الصحيح عن العدول الضابطين طبقـة

بعد طبقة مثلما وقع للقرآن وقد تلقوه من النبي نفســه حرفا حرفا ولم يهملوا حركة ولا سكونا ولا اثباتا ولا حذفا •

واذن لم يكن ثمة محل أمام التابعين وتابعيهم للنظر في قراءة القرآن بقراءات أخرى غير التي تلقوها عن الصحابة وهي نفس ما تلقاه هؤلاء عن النبي (ص) •

القراءات الشــاذة

ذكر العلماء قاعدة لمعرفة القراءات المقبولة وذلك بأن تكون متواترة وموافقة لرسم المصاحف العثمانية وموافقة للغة العربية واذا لم تتحقق هــذه الشروط تكون القراءة شاذة مردودة •

وقد أجمع الاصوليون والفقهاء والقراء على انه لم يتواتر شيء من القراءات ولم يتحقق الا في القراءات السبع والثــلاثة المشهورة وما عــداها فلا يحكم بقرآنيتها •

وقد نقل أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر اجماع المسلمين على انه لا يجوز القراءة بالشواذ ولا يصلى خلف من يصلي بها • وان القراءات الشاذة ليست قرآنا لأن القرآن لا يثبت الا بالتواتر كما يجب منع القارىء بالشواذ من التلاوة بها وان لم يمتنع غرر • كما يقول ابن الصلاح •

ويقول ابن الحاجب : ان القراءات بالشواذ لا تجوز في صــلاة ولا في غيرها فاذا كان القارىء جاهلا بالتحــريم عرف به وأمر بتركها ، واذا كان عالما أدب ، فان أصر حبس حتى يرتدع •

وممن كان يقرأ بالشواذ محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ ، وقد تخير لنفسه حروفا من شواذ القراءات وقد رد عليه جمهرة من العلمــاء وبينوا ســوء قصــده •

وقد قبض على ابن شنبوذ هذا سنة (٣٢٣هـ) واعتقل أياما ثم عقد له مجلس محاكمة حضره القضاة والفقهاء والقراء ، وبعد محاكمته وعدم رجوعه عما اقترفه

من تشكيك جرد من ثيابه وضرب بالدرة على قفاه وذلك حفظا لكتاب الله من التلاعب وافساح المجال لذوي الأهواء لأن يدخلوا الشكوك في كتاب الله المقروء •

وبعد ذلك رجع ابن شنبوذ عن تلك القراءات الشاذة • وكتب اقرارا جاء فيه : وقد كنت أقرأ حروفا تخالف ما في مصحف عثمان رضى الله عنه المجمع عليه والذي اتفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم على تلاوته ثم بان لي ان ذلك خطأ فأنا منه تائب وعنه مقلع والى الله عز وجل بريء اذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا أن يقرأ بغير ما فيه فمتى خالفت ذلك أو بان عني غيره فأمير المؤمنين في حل وسعة من دمي •

وذكر ان الناس قد ثاروا على ابن شنبوذ حتى انه أرسل الى داره سرا مع أعوان السلطان لحراسته خشية أن يقتله الثائرون ثم وجه الى المدائن سرا وبقى هناك مدة ثم أعيد الى بغداد ، فدخل بيته وهو مستخف عن العامة •

وممن قرأ بالشواذ محمد بن الحسن بن مقسم العطار البغدادي المتوفي سنة (٣٥٤هـ) فقد كان يقرأ بحروف تخالف الاجماع ويتخير القراءات دون الاعتصام بالأثر ويستخرج للكلمة وجها بعيدا عن الصواب مع كونها لم يقرأ بها أحد ، ثم ابتدع بدعة أضل بها عن قصد السبيل كما قيل •

وقد أنكر على ابن مقسم أهل العلم ورفعوا أمره الى السلطان فأحضره وعقد له مجلسا وطلب منه البرهان على صحة ما ذهب اليه فلم يأت بحجة قوية أو ضعيفة ، ثم أعلن توبته •

وممن أكثروا من الروايات الشاذة الحسن بن علي بن يزداد بن هرمز الأهوازي الذي قدم الى دمشق سنة (٣٩١هـ) وقد كان ينسب بعض الروايات الى مشايخ لم يقرأ عليهم أو قرأ عليهم القليل وقد رد عليه معاصروه ونعتوه بالكذاب •

وقد رويت أربع قراءات شاذة عن :

١ ـ ابن محيصن محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي المتوفي سنة (١٢٣هـ) •

٢ ـ أبو محمد يحى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري المعروف باليزيدي المتوفي سنة (٢٠٢هـ) •

٣ ـ أبو سعيد الحسن بن يسار البصري المتوفي سنة (١١٠هـ) •

٤ ـ أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي مولاهم الكوفي المتوفي سنة (١٤٨هـ) •

لقد خالفت هذه القراءات ما أجمعت عليه الأمة ، ولم تجد لها أي سند غير رواتها وقد ادعى هؤلاء بأنها مروية عن عائشة وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس ، كما نسب هؤلاء قراءات شاذة لبعض الصحابة •

ليخدعوا بذلك الناس مع ان المصحف العثماني قد انتشر وهم أحياء وانكبوا على استنساخه وحفظه •

لقد خلق هؤلاء منفذا لأعداء الاسلام للطعن في أقدس ما لدى المسلمين وها هو أحد المستشرقين (كارل فولرس) يقول : ان نص القرآن قد اعتراه تغيير •

والذي يوجب الاستغراب ان البعض قد ألف كتبا باسم(اختلاف المصاحف) حشدها بأقوال أناس لا يعلم صدقهم من كذبهم ولا ندري كيف يسوغ لرجل يعتقد بحفظ الله لقرآنه من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان أن يدعي ان فلانا قرأ كذا وان فلانا زاد كذا •

ثم لا ندري أين هو مصحف عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وعبدالله بن عباس وأبيموسى الأشعري وغيرهم ممن سرد هؤلاء أسماءهم ولم يذكر أحد من المتقدمين والمتأخرين انهم رأوا ورقة واحدة من تلك المصاحف •

ذكر ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) في حوادث سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة انه وقعت فتنة بن الشيعة والسنة وأحضرت الشيعة مصحفا ذكروا انه مصحف عبدالله بن مسعود وهو مخالف للمصاحف كلها فجمع الاشراف والقضاة والفقهاء وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الاسفراييني والفقهاء

بتحريفه ففعل ذلك بمحضر منهم فغضب الشيعة من ذلك غضبا شديدا .. الخ كما ذكر هذه القصة ابن الأثير في تاريخه .

ان الذين وضعوا آلاف الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسخوا التاريخ الاسلامي وافتروا على قادة المسلمين وامرائهم لا يصعب عليهم أن يختلقوا عشرات الأقوال على لسان أصحاب رسول الله ليشككوا فيها بكتاب الله .

وها هم أعداء الاسلام يؤلفون الكتب للطعن بالقرآن وتحريفه استنادا على أقوال هؤلاء الأفاكين المشككين ، أمثال المستشرق (اجنيس سميث لويس) في كتابه : أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة بما فيها من اختلافات و (كولد تسيهر اليهودي) في كتابه : مذاهب التفسير الاسلامي الذي ذكر فيه الزيادات المقول بوجودها في المصاحف الفردية غير مصحف عثمان . وكذا المستشرق (جفري) الذي جمع في كتاب له الاختلافات المنسوبة الى المصحف الفردي لكبار الصحابة والتابعين وكذا المصاحف المجهولة الأصحاب كل ذلك لزلزلة عقيدة المسلمين بقرآنهم وفتح باب الشك والزيغ .

ومن الغريب ان بعض المفسرين يتناقلون تلك الاختلافات بل الاختلاقات ويأخذون في التأويل والتوجيه مع انهم يفسرون القرآن المنقول الى الأمة بالتواتر والمجمع عليه منذ عهد عثمان رضى الله عنه والذي لا يختلف فيه الا الزنادقة والملحدون وقد قال (علي القاريء) : كيف يصح تفريط الصحابة الكرام في ضبط القرآن العظيم واهمالهم في حفظ الفرقان الكريم حتى ينسوه فلا يعرفه الا الواحد والاثنان من الأطراف وحتى لا يوجد الا في الاكتاف واللخاف ، هذا مع شدتهم في أمر طلب الدين وبذلهم الأموال والاشباح والارواح في مقام اليقين .

ولقد سمعنا بعض القراء المصريين يرددون القراءة بالروايات الشاذة وذلك حبا للظهور والتعالي على الآخرين ولم يعلموا بأنهم يفتحون بذلك ثغرة ينفذ منها للطعن في صحة ما ثبتت قرآنيته بالاجماع .

وقد وقفت مشيخة الأزهر ضد شيخين من مدرسي معهد القراءات التابع للازهر في سنة (٩٥٨) القائلين بجواز القراءة بالروايات الشاذة وقد استتيبا وعوقبا بالنقل خارج القاهرة ولم تقبل مشيخة الازهر فيهما شفاعة الشافعين .

القـــراء

علمنا مما تقدم ان القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف وان تلك الأحرف قد أخذها الصحابة الكرام عن النبي صلى الله عليه وسلم فحصل بذلك بعض الاختلاف في كيفيات الحروف وأدائها وبعض الكلمات واعرابها وقد تناقل المسلمون ذلك باسناد صحيح وتواتر الى أن استقر في القراء السبعة المشهورين وسميت قراءاتهم القراءات السبعة .

وتوجد ثلاث قراءات اخرى أحادية مشهورة .

كما توجد أربع قراءات شاذة ردها العلماء فيكون المجموع أربع عشر قراءة .

قال ابن قتيبة وابن الجزري وأبو الفضل الرازي : ان الأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها الاختلاف للقراءة مثل الحركات وابدال حرف بآخر قريب المخرج منه وتقديم وتأخير .

وقال ابن أبي هاشم : ان السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها ان الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما لا يوافق الخط امتثالا لأمر عثمان رضي الله عنه الذي وافقه عليه الصحابة رضوان الله عليهم لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع تمسكهم بحرف واحد من السبعة .

أما القراء السبعة فاليك هم مع رواتهم .

١ ـ نافع المـدني

أبو رويم نافع بن عبدالرحمن بن نعيم الليثي المدني أحد القراء السبعة ، ثقة صالح ، كان أسود اللون صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة ، أخذ القراءة عن سبعين شيخا من التابعين وقد روى عنه القراء عرضا وسماعا وانتهت اليه رئاسة القراءة بالمدينة بعد التابعين • توفي بالمدينة سنة (١٦٩هـ) •

وأشهر رواته اثنان :

١ ـ عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ (ورش) شيخ القراء المحققين وامام أهل الأداء المرتلين انتهت اليه رياسة القراءة بالديار المصرية في زمانه ولد سنة (١١٠هـ) بمصر • وقد رحل الى نافع وعرض عليه القرآن عدة مرات وقد لقبه نافع بالورشان لانه كان على قصره يلبس ثيابا قصارا وكان اذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه • والرشان ذكر القماري وهو طائر مشهور بحسن صوته ، وكان ورش اذا قرأ القرآن على نافع أغشى على كثير من الجلساء لحسن صوته وجودة قراءته ثم خفف فقيل ورش ولزمه ذلك حتى صار لا يعرف الا به ولم يكن فيما قيل أحب اليه منه وكان يقول : استاذي سماني به وقد توفي بمصر سنة (١٩٧هـ) عن سبع وثمانين سنة •

ب ـ عيسى بن مينا مولى بني زهرة الملقب بـ (قالون) ربيب نافع ، وقارىء المدينة ونحويها وقد سماه نافع بقالون لجودة قراءته فان قالون بلغته الرومية جيد • وقد توفي سنة (٢٢٠هـ) عن عمر يناهز المائة •

٢ ـ ابن كثير المكي

ابن كثير هو عبدالله بن كثير بن المطلب المكي الراوي امام أهل مكة في القراءة ولد بمكة سنة (٤٥هـ) وقد أدرك قسما من الصحابة الكرام وأخذ عنهم وقد أقام بالعراق مدة ثم عاد الى مكة وبقى الامام المجمع عليه في القراءة بمكة الى أن توفي سنة (١٢٠هـ) عن عمر يناهز الخامسة والسبعين •

وأشهر رواته اثنان :

وهما يرويان عنه بواسطة لعدم ادراكهما له :

آ ـ محمد بن عبدالرحمن المخزومي المكي الملقب بقنبل المولود سنة (١٩٥هـ) وقد سمي بقنبل لاستعماله دواء يقال له قنبيل لداء كان به فلما أكثر منه عرف به وحذفت الياء تخفيفا وقيل : سمي بذلك لأن عائلته تعرف بمكة بلقب القنابلة •

لقد انتهت الى قنبل رياسة القراءة بالحجاز ورحل الناس اليه من الاقطار ثم انه طعن في السن وشاخ وقطع الاقراء قبل موته سبع سنين وقد توفي سنة (٢٩١هـ) عن ست وتسعين سنة •

ب ـ أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بزة ـ والبزة الشدة ـ المكي المخزومي مقرىء مكة ومؤذن المسجد الحرام ولد سنة (١٧٠هـ) وتوفي سنة (٢٥٠هـ) عن عمر يقارب الثمانين •

٣ ـ ابن العلاء البصري

ابن العلاء هو أبو عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري ولد سنة (٦٨هـ) ثم توجه مع أبيه الى مكة والمدينة فقرأ على مشايخهما ثم قرأ بالبصرة والكوفة وهو أكثر القراء شيوخا وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد وقد توفي بالكوفة سنة (١٥٥هـ) عن عمر يقارب التسعين •

وأشهر رواته :

اثنان يرويان عنه بواسطة يحي بن المبارك •

أ ـ أبو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان الدوري الازدي البغدادي الضرير نزيل سامراء امام القراء وشيخ الناس في زمانه وهو أول من جمع القراءات ولقد رحل في طلب القراءات وقرأ لسائر الحروف السبعة وبالشواذ وسمع من ذلك شيئا كثيرا توفي سنة (٢٤٦هـ) •

ب ـ أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله السوسي الرقي ، وقد كان مقرءا ضابطا محرر فقه ، ولقد أخذ القراءة عرضا وسماعا توفي سنة (٢٦١هـ) عن عمر يقارب السبعين .

٤ ـ ابن عامر الشامي اليحصبي

ابن عامر هو أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي الحميري أمام أهل الشام في القراءة والتي انتهت اليه مشيخة القراءة بها ، أخذ القراءة عن بعض كبار الصحابة ولقد كان عالماً ثقة فيما أتاه حافظاً لما رواه عارفا فاهما ، لقد كان من أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين ولد سنة (٨هـ) في البلقاء بضيعة يقال لها (رحاب) وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر سنتان وبعد فتح دمشق ذهب اليها وتوفي فيها سنة (١١٨هـ) .

وأشهر رواته بالواسطة اثنان :

أ ـ أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي امام أهل دمشق وخطيبهم ومفتيهم ومحدثهم ومقرؤهم ، ولد سنة (١٥٣هـ) ولقد كان فصيحا واسع العلم والرواية والدراية رزق كبر السن وصحة العقل والرأي ولقد ارتحل الناس اليه في القراءة والحديث توفي سنة (٢٤٥هـ) .

ب ـ أبو عمر عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الفهري الدمشقي الامام الراوي الثقة هو شيخ الاقراء في الشام وامام جامع دمشق ولم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمانه أقرأ منه . ولد سنة (١٧٣هـ) وتوفي سنة (٢٤٢هـ) .

٥ ـ عاصم الكوفي

أبو بكر عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الاسدي الكوفي شيخ الاقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ،

ولقد كان أحسن الناس صوتا بالقرآن• توفي سنة(١٢٧هـ) بالكوفة أو بالسماوة•

وأشهر رواته اثنان :

أ ـ حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الأسدي الكوفي ، ربيب عاصم وابن زوجته وأعلم الناس بقراءته وقد أقرأ الناس دهرا •

لقد ولد حفص في سنة (٩٠هـ) وتوفي سنة (١٨٠هـ) •

ان المصاحف التي بين أيدينا هي بحسب رواية حفص هذا لقراءة عاصم عن عبدالله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ب ـ أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي ، كان اماما كبيرا وعالما عاملا ، وكان من أئمة السنة وعمر دهرا الا انه انقطع قبل موته بسبع سنين وتوفي سنة (١٩٣هـ) وقد ناهز المائة •

٦ ـ حمزة التيمي الكوفي

أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات التيمي الكوفي أحد القراء السبعة واليه صارت الامامة في القراءة بعد عاصم والاعمش ولقد كان حجة ثقة ثبتا بصيرا بالفرائض عارفا بالعربية حافظا للحديث عابدا زاهدا • ولقد ولد حمزة سنة (٨٠هـ) وتوفي في سنة (١٥٧هـ) بحلوان (قصر شيرين) •

وأشهر رواته اثنان :

أ ـ خلاد بن خالد الشيباني الكوفي الصيرفي امام في القراءة كما انه ثقة عارف محقق مع الضبط ، وقد توفي سنة (٢٢٠هـ) •

ب ـ أبو محمد خلف بن هشام البزاز البغدادي الأسدي أحد القراء العشرة • ولد سنة (١٥٠هـ) ولقد كان زاهدا عالما عابدا توفي سنة (٢٢٩هـ) ببغداد وهو مختفي من الجهمية •

٧ ـ الكسائي الكوفي

علي بن حمزة الكسائي الكوفي النحوي ، هو الامام الذي انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات •

لقد كان الكسائي يتخير القراءات فأخذ عن قراءة حمزة ببعض وترك بعضا وكانت القراءة علمه وصناعته ، قال ابن الانباري : اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب وكان أوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون حتى التقاطع والمبادىء •

ولقد توفي الكسائي سنة (١٨٩ هـ) بمدينة طوس في ايران عندما كان مع هارون الرشيد •

وأشهر رواته اثنان :

أ ـ حفص بن عمرو الدوري الذي تقدم الكلام عليه عند الكلام عن رواة ابن العلاء البصري •

ب ـ أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي أحد الحذاق الماهرين في ضبط القراءات توفي سنة (٢٤٠ هـ) •

هؤلاء هم رواة القراءات السبع المتواترة •

وتوجد ثلاث قراءات أخرى مشهورة لم تبلغ درجة التواتر ووافقت العربية ورسم المصحف وأصحابها هم :ـ

٨ ـ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني المخزومي التابعي المتوفى بالمدينة سنة (١٣٠ هـ) وأشهر رواته :ـ

أ ـ أبو الحارث عيسى بن وردان الحذاء المدني المتوفي سنة (١٦٠ هـ) •

ب ـ أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني الزهري مولاهم المتوفي سنة (١٧٠ هـ) •

٩ ـ أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي مولاهم البصري المتوفي في البصرة سنة (٢٠٥ هـ) •

وراوياه :

أ ـ أبو عبدالله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري المعروف برويس المتوفي في البصرة سنة (٢٣٨ هـ) •

ب ـ أبو الحسن روح بن عبدالمؤمن الهندلي مولاهم البصرى المتوفي سنة (٢٣٥ هـ) •

١٠ـ أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار الاسدي البغدادي أحد رواة حمزة الزيات أحد القراء السبعة •

ولقد ولد خلف هذا سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢٢٩هـ) ببغداد وهو مختف من الجهمية •

وراوياه •

أ ـ أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن عثمان الوراق المروزي البغدادي المتوفي سنة (٢٨٦ هـ) •

ب ـ أبو الحسن أدريس بن عبدالكريم الحداد البغدادي المنوفي سنة (٢٩٢ هـ)•

التلقي الشفوي

بعد ان انتهينا من ذكر الفوائد التي تعين على التلاوة الصحيحة واعطائها حقها ومستحقها نختم هذا البحث بذكر ما أجمع عليه علماء القراءة من ان هذا العلم لا يؤخذ الا مشافهة من أفواه الاساتذة المتقنين وأليك ملخص ذلك :

لقد أجمع العلماء على أن يكون تلقى العلم النقلى لا سيما القرآن الكريم من الأفواه فمنذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتلقين القرآن الكريم شفاها هو السائد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث أصحابه ليعلموا الناس

القرآن ويقرؤهم في كل سنة مرة ، ثم عارضه عام وفاته مرتين لتجويد اللفظ ، وتصحيح اخراج الحروف من مخارجها ليكون سنة في الأمة •

وقد وصف انس بن مالك قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها كانت ترتيلا لا هدرا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد فيمد (الرحمن) ويمد الرحيم •

وهذا عبدالله بن مسعود الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد •

يقول ابن مسعود حفظت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة •

وروى الامام مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب : ان الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قال : الله سمّاني لك؟ قال : نعم ، فقرأ عليه (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون) بالتاء جميعا • وروى عنه أنه قرأهما جميعا بالياء • وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول : اقرأ أمتي أبي ، لانه قد تلقى القرآن شفويا من رسول الله ، وعلمه كيفية تلاوة القرآن واعطاء الحروف حقها من الاداء •

لما أرسل عثمان بن عفان المصاحف الى الامصار لم يرسلها وحدها بل أرسل مع كل مصحف قارئا يعلم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف ، فقد أمر زيد بن ثابت ان يقرأ بالمدينة ، وبعث عبدالله بن السائب الى مكة ، والمغيرة بن شهاب الى الشام ، وعامر بن عبد قيس الى البصرة وأبا عبدالرحمن السلمي الى الكوفة فكان كل واحد من هؤلاء يقرىء أهل مصره بما تعلمه من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتمد على رسم المصحف وحده بل الاعتماد كله على التلقى والمشافهة لا على الخط والرسم •

ولقد أمر العلماء طالب القرآن أن يتلقاه من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين ويرون أن النقل من الافواه هو النقل السليم الذي يظهر كل زيف يعتريه ويحتاج هذا الى التمرن على ذلك بعد تلقفه حتى تحصل له ملكة الاداء الصحيح بالفعل

وقد كان يحيى بن معاذ يقول : أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها صنائعها فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البطار والتمار من الزمار .

ويقول ابن حجر العسقلاني : اعلم ان كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ، ومد وادغام واخفاء واظهار وغيرها وجب تعلمه وحرم مخالفته .

ويقول ابن الجزري في تعريفه للمقرئ : انه العالم بالقراءات رواها مشافهة ، فلو حفظ (التيسير) مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه ان لم يشافهه مسلسلا لان في القراءات أشياء لا تحكم الا بالسماع والمشافهة .

ولا يمكن أحكام التلاوة الا بالتلقي الشفهي فالتفخيم والترقيق والمد والقصر والادغام والاظهار والاخفاء ، والروم والاشمام والابدال والاقلاب والحذف والاثبات والامالة وغيرها فتعلم هذا كله متوقف على المشافهة والملقن الضابط الذي يذلل صعبها ويوضح غموضها .

الوقف والابتداء

الوقف : في اللغة هو الحبس والكف .

وفي الاصطلاح : هو قطع الكلمة مما بعدها بسكتة طويلة مع تنفس على الا يخل ذلك بالمعنى ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته .

وقد قال بعض العلماء ان تعلم الوقف واجب ، لما روى أنه سئل علي رضى الله عنه عن قول الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) ، فقال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

وروى عن عبدالله بن عمر رضىالله عنهما انه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا ليؤتي الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده .

وقال أبو عمرو الداني : ان التجويد لا يحصل الا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم وما يجتنب من ذلك لبشاعته وفجه .

وقال ابن الانباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء وقد فسر الترتيل في قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) تجويد الحروف ومراعاة الوقوف .

وروى ان رجلين أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فتشهد احدهما فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعصهما ووقف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قم بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعصي الله ورسوله فقد غوى .

فالوقف حلية التلاوة وزينة القارىء وبلاغ التالي وفهم المستمع ولا يوقف على متحرك لان الغرض من الوقف الاستراحة وسلب الحركة أبلغ في تحصيلها ، فاذا أردت الوقف فقف بالسكون المحض أو مع الاشمام ، ولا تقف بكل الحركة الا اذا رمت واقفا فبعض الحركة .

أقسام الوقف

لقد قسم الوقف الى أربعة أقسام :

اختباري ، واضطراري ، وانتظاري ، واختياري .

١ ـ فالاختباري : هو ما يقصد به الاختبار لبيان المقطوع والموصول ، واثبات المحذوف ونحوها ، أو لاختبار مقدرة التالي درجة اتقانه ومعرفته بالالفاظ التي يجب أو يستحسن الوقوف عليها ، أو يقبح الوقوف عليها .

٢ ـ الاضطراري : هو ما يعرض للقاريء بسبب ضيق النفس ونحوه كعجز ونسيان ، ولكن يجب الابتداء بالكلمة الموقوف عليها ان صح الابتداء بها .

٣ ـ الانتظاري : هو أن يقف على الكلمة ليعطف عليها غيرها عند جمعه لاختلاف الروايات .

٤ ـ والاختياري : هو السكوت على آخر الكلمة قصدا سواء اتى بعدها بشيء أو جعلها آخر الكلام فأن لم يأت بعدها بشيء سمى قطعا •

والاختياري ينفسم الى أربعة أقسام :

تام ، وكاف ، وحسن ، وقبيح •

الوقوف التام

التام : هو الوقف على ما تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظا ولا معنى ويكون في رؤوس الآى ، وبعد انقضاء القصص •

وقد يكون قبل انقضاء الآية وفي أثنائها مثل : (وجعلوا أعزة أهلها أذلـة) التي يأتي بعدها (وكذلك يفعلون) •

وقد يكون وسط الآية نحو : لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني •

وقد يكون التمام بعدها نحو : لم نجعل لهم من دونها سترا •

وتمام الكلام (كذلك) أي أمر ذى القرنين كذلك ، أي كما وصفه تعالى تنميما لأمره ولا يشترط في التام اذا كان في قصة أن يكون في آخرها فـأن الوقف على قوله تعالى (محمد رسول الله) تام وان كانت الآيات الى آخر السورة قصـــة واحدة •

وذكر العلماء ان الوقف التام يوجد في الغالب عند آخر القصة وما قبـل أولها وفي آخر كل سورة ، وقبل ياء النداء ، وفعل الامر والنهي ، والقســم ولامه دون القول ، والشرط الذي لم يتقدم جوابه • ونحو وكان وما كان وذلك ولولا ما لم يتقدم ذلك قسم أو قول أو نحو ذلك •

الوقف الكافي

الوقف الكافي : هو الوقف على ما تم معناه وتعلق بما بعده معنى لا لفظا ويحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده الا ان ما بعده يتعلق به من جهة المعنى ، وبهذا أنفصل عن التام وسمى بالكافي للاكتفاء به .

نحو : (ومما رزقناهم ينفقون .. يخادعون الله والذين آمنو .. انما نحن مصلحون) وهذا كله كلام مفهوم ، والذي بعده كلام مستغن عما قبله لفظا وان انفصل به معنى .

وقد يتفاضل الكافي في الكفاية كما يتفاضل التام في التمام نحو : (في قلوبهم مرض) كاف (فزادهم الله مرضا) أكفى منه ، و (بما كانوا يكذبون) اكفى منهما .

وقد يكون التفاضل في رؤوس الآى نحو : (الا انهم هم السفهاء) كاف (ولكن لايعلمون) اكفى ، ونحو : (ربنا تقبل منا) و (انك أنت السميع العليم) اكفى .

الوقف الحسن

الوقف الحسن : هو الوقف على ما تم في ذاته وتعلق بما بعده لفظا ومعنى، لكونه اما موصوفاً والآخر صفة له .

أو هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده الا أن يكون رأس آية وسمي بالحسن لحسن الوقف عليه .

ويسمى أيضا الصالح لصلوح الوقف عليه نحو الوقف على (الحمد لله) فأن الوقت عليه حسن ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده فلابد أن يعيد ما قبله أو بعضه ليتنسق الكلام .

ونحو الوقف على (رب العالمين) فأنه حسن وأما الابتداء بما بعده فحسن عند من قال ان رؤوس الآى يستحب الوقوف عليها سواء وجد تعلق لفظي أم لا .

الوقف القبيح

الوقف القبيح : هو الوقف على ما لم يتم معناه لتعلقه بما بعده لفظا ومعنى ، كالوقف على المضاف دون المضاف اليه ، أو على المبتدأ دون خبره ، أو على الفعل دون فاعله نحو الوقف على (الحمد) أو على (مالك) فأنه قبيح لعدم فهم المعنى المراد فأن معنى الحمد لا يحصل الا بمتعلقه ، فلابد للقاريء من وصل المبتدأ بالخبر ٠

وقد يكون بعضه أقبح من بعض كالوقف على ما يخل بالمعنى المراد نحو (وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه) فأن المعنى يفسد بهذا الوقف لانه يوهم ان الأبوين يشاركان البنت في نصف الميراث مع أن المراد ان البنت لها النصف ، ثم ذكر حكم الأبوين وما يجب لهما عند وجود الولد وهو السدس ٠

وأقبح من هذا كله أن يقف على (ومالي) ثم يبتديء بما بعده وهو (لا أعبد الذي فطرني) والوقف على قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا) والابتداء بقوله (ان الله فقير) وهكذا حكم كل وقف يكون موهما خلاف المعنى المراد فأن تعمد القاريء الوقف على ما ذكر وهو عالم بمعناه فقد ارتكب اثما عظيما ٠

الا اذا كان مضطرا للوقف بأن عطس أو أنقطع نفسه ونحو ذلك من الاعذار ، فيقف للضرورة ويسمى حينئذ وقف ضرورة ثم يرجع ويبتديء ويصل الكلمة بما بعدها ٠

الابتـــــداء

أما الابتداء : فهو الوقف على التام لبيان معنى مقصود وهو الذي لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير مراد لذلك لا يجوز الا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود ٠

فمن ذلك الوقف على قوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين) والابتداء بقوله تعالى : (والذين آتيناهم الكتاب) لئلا يوهم ان الذين صفة الظالمين وهو مستأنف ٠

ومن ذلك (ولا هم يحزنون) والابتداء بقوله (الذين يأكلون الربا) لأن وصله بما قبله يوقع في محذور ٠

والابتداء في أقسامه كأقسام الوقف ويتفاوت في التمام والكفاية والحسن والقبح بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى واحالته ٠

فلو وقف على (ما وعدنا الله) اضطرارا كان الابتداء بلفظ الجلالة قبيحا وبوعدنا أقبح منه وبما أقبح منهما فيلزم الرجوع الى أول الكلام ٠

وقد يكون الوقف حسنا والابتداء به قبيحا نحو (يخرجون الرسول وأياكم) الوقف عليه حسن لتمام الكلام والابتداء به قبيح لايهامه التحذير من الايمان

وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء جيدا نحو : (من بعثنا من مرقدنا هذا) فان الوقف على هذا قبيح عندهم لفصله بين المبتدأ والخبر ولانه يوهم ان الاشارة الى المرقد والابتداء بهذا كاف أو تام لانه مع ما بعده جملة تامة وردت لتقريع أولئك المبعوثين ٠

رموز الوقف

لقد جاء الوقف في القرآن الكريم على صور مختلفة منها :

١ ـ الوقف اللازم : واشارته (م) ولا يجوز وصله لانه يبدل المعنى لذلك وجب الوقوف عليه ٠ نحو قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا) حيث يجب الوقوف على (قولهم) اذ لو وصل لتوهم ان المقول هو ما بعده وليس كذلك بل المراد لا يحزنك قولهم فينا أو فيك أو في كتابنا ، والجملة بعده مستأنفة ورد تسلية لرسول الله وتهديدا للكفار ٠

٢ ـ الوقف المطلق : واشارته (ط) ويستحسن الوقوف عليه فاذا جاوز لا يغير المعنى كما يستحسن الابتداء بما بعده وذلك فيما اذا كان بعده الاسم المبتدأ بـه نحو (الله يجتبي) والفعل المستأنف نحو (يعبدونني لا يشـركون بي شيئاً سيجعل الله بعد عسر يسراً) والاستفهام ولو مقدرا • نحو (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) والنفي نحو : (ما كان لهم الخيرة •• ان يريدون الا فرارا) •

٣ ـ الوقف الجائز : واشارته (ج) فالوقف عليه جائز واذا وصل فلا بأس بـه لتجاذب الموجب من الطرفين • نحو (وما أنزل من قبلك) فأن واو العطف في الجملة التي بعدها وهي (وبالآخرة هم يوقنون) ترجح الوصل وتقديم المفعول على الفعل ووجود الضمير يرجح الوقف فتساويا •

٤ ـ الوقف المجوز : واشارته (ز) فأن الوصل فيه أولى نحو (اولـئـك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) لأن الفاء في قوله تعالى (فلا يخفف عنهـم العذاب) تشعر بالسبب وذلك يقتضى الوصل • ومجيء الفعل على هـذه الهيأة يجعل للفعل وجها •

٥ ـ الوقف المرخص : واشارته (ص) وهو الذي لا يستغنى ما بعده عمـا قبله لكنه يرخص فيه وان الوقف عليه جائز واذا وصل فلا بأس به نحو فواصل (قد أفلح المؤمنون الى آخر الآيات) •

٦ ـ الوقف الممنوع : واشارته (لا) فينبغي للقاريء أن يصل ولا يقف لان بذلك يختل المعنى •

وتكتب لا في الاكثر في المواضع التي قد يتوهم انها محل وقف •

٧ ـ أما علامة (قف) فأنها للوقف المستحب ، فأن وصل فلا شيء عليه •

٨ ـ وأما اشارة (صلى) فهي علامة على أن وصل القراءة أولى •

٨ ـ وأما اشارة (قلى) فهي علامة على أن الوقف أولى •

هذا آخر ما يسره الله واعان عليه نسأله تعالى التوفيق والهداية لخـيري الدنيا والآخرة انه سميع مجيب •

فهرست قواعد التلاوة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٢٦٢ لسنة ١٩٧٤)